

الوطن الأكبر

(مسرحية شعرية)

تأليف : على أحمد باكثير

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

مكان الرواية : نجد مصر وسوريا بالأناضول .

زمان الرواية : أوائل القرن التاسع عشر .

أشخاص المسرحية :

١ ــ إبراهيم باشا : بطل المسرحية
٢ ــ عبد الله بن السعود: أمير الوهابيين
٣ ــ أمين بك : السكرتير
٤ ــ فكرى الخازن : من رجال إبراهيم باشا
٥ ــ أحمد راسم : القائد
٦ ــ غالية : أم سرحان امرأة نجدية مقاتلة
٧ ــ الأمير بشير الشهابى: أمير الجبل
٨ ــ الكولونل سيف : سليمان باشا الفرنساوى
٩ ــ الشيخ رفاعة : الطهطاوى من العلماء الأدباء
١٠ ــ صابر : جاسوس تركى
١١ ــ نعامة : بنت فهد النعمان وحبيبة سرحان
١٢ ــ زياد : ابن عم نعامة
١٣ ــ تامر : أخو نعامة
١٤ ــ سرحان : فارس نجدى جعله إبراهيم فى حرسه الخاص
١٥ ــ إسماعيل باشا : ابن أخى إبراهيم باشا .
١٦ ــ أحمد المنيكلى : من قواد إبراهيم
١٧ ــ خالد : ابن عم نعامة .
١٨ ــ رشيد باشا : قائد الجيش التركى

المنظر الأول

(فى معسكر إبراهيم باشا على مقربة من (الدرعية) عاصمة نجد بعد أن فتحها إبراهيم وانتصر على الوهابيين الانتصار النهائى — يرى إبراهيم فى خيمته قاعدا على أريكة مفروشة بالمخمل عليها وسائد ، وجلس أمامه على مقاعد صغيرة بضعة أشخاص من رجاله ، فيهم أمين بك السكرتير وفكرى الخازن وأحمد راسم القائد ، وعلى باب الخيمة جنديان شاهران سيفيهما) .

إبراهيم : **(ينظر فى ساعة كبيرة أخرجها من جيبه) .**

هل أخطأ ظنى فى ابن سعــود ؟

لم يجئنا بعد وقد حل ميعــاده .

إنه شهم ما أحسبه إلا صادقا وعده .

أحمد راسم : إنى قد نصحتك يا مولاى بأن لا تفلته من يدك .

ما أحسبه عائدا للحبس مطيعا ، إذا

كان فى وسعه أن يذمِّر أصحابــه

للوغى ويلــم شتــات رجالــه .

أمين : ماذا فى استطاعته أن يفعل يا مولاى . .

وقد دمرنا الدرعية .

فكرى : لكن فى استطاعته أن يكلفنا
أرواحا وأموالا أخرى . إنهم
قوم لا يخافون الموت يا مولاى .

إبراهيم : أتخافون الموت أنتم بعد ؟ ألم تتلقوا
عنهم حب الموت وآى البطولة ؟
والله لقد علمتنى نجد كيف الصبر
على الأهوال تشيب لها الأطفال .

أحمد راسم : لن نغدو مثلهم الدهر يا مولاى ،
ولولا نظم الحرب التى يجهلون لما
بقى اليوم من جندنا واحد يتنفس .

إبراهيم : آه من لى بجيش يحب الموت كأبناء نجد
ولكن يدرى النظام ، به أفتح الدنيا
أضع الدنيا كلها تحت أقدام مصر .
(ينظر فى ساعته ثانيا)
عجبا لم يجىء بعد عبد الله وقد حانت الثانية .
ما أخّره يا ترى ؟

أحمد راسم : ما أخّره إلا الغدر يا مولاى ،
ابتغاء إعادتها جذعة .

إبراهيم : كلكم يجهل ابن سعود ولا يدرى كنهه
أنا أدرى به منكم .. ليس الغدر أخشى من
رجل مثل عبد الله . ولكننى أخشى

أن ينطقه يأسه : بيدى أنا لا بيدى إبراهيم .

فكرى : أتخاف عليه انتحارا يا مولاى ؟ إذًا
تكفى شره .

إبراهيم : أنسيتم ما أمر السلطان بإرساله للآستانة ؟

فكرى : سوف يعلم من سيدى الوالى أنه غال نفسه .

إبراهيم : لن يرضى ذلك منا وقد جاءه أننا
قد قبضنا عليه أسيرا .
وسيحسبنا أننا أطلقنا سبيله .

فكرى : ما شأن السلطان فى هذا ؟ حسبه منا
أننا قد كفيناه شر عدوه .

إبراهيم : **(يتنهد)**
ما شأن السلطان فى هذا ؟ أواه !
أذكر دائما أن مصر العظيمة لما تزل
تبعا للسلطان التركى الهزيل .
هذا حس كوكبة قادمة .
(ينهض ويشرف من كوة فى الخيمة)
ذاك ابن سعود أتى .. لله أبوه !

أمين : **(يشرف من كوة أخرى)**
أجل هو .. يا عجبا .. هو عينه .

إبراهيم : انطلق يا راسم فاستقبله .
(ينهض راسم ويخرج من الخيمة)

إبراهيم : قد قلت لكم إن عبد الله لشهم وفى .
حمدا لك يا ربى . أرضيت ضميرى !
ولن يجد السلطان علىّ سبيلا .
(يعود راسم ويدخل معه عبد الله بن سعود ووراءه ستة من خاصة رجاله بملابسهم النجدية وهم شاكو السلاح) .

عبد الله : السلام عليكم .

إبراهيم : **(يتقدم فرحا ليستقبله)** وعليكم السلام .
أهلا يا أخى . أهلا بك يا بطل الصحراء .

عبد الله : **(يصافح إبراهيم)**
شكرا لك يا سيدى .. أنت أنت البطل .

إبراهيم : **(يقصد جهة الأريكة ويده فى يد عبد الله)**
استرح يا عبد الله تفضل .
(يقعد ويقعد عبد الله بجانبه بينما الآخرون وقوف) .

عبد الله : علّى استأخرت قليلا عن موعدى .. رغبت أمى أن ترانى فى بيتها فذهبت إليها قياما بطاعتها ، فاقبل عذرى يا إبراهيم .

إبراهيم : لا بأس أنا بعد .. حسبى أنك لم تخلف وعدك .

عبد الله : ماذا ؟ هل خالطك الشك فى أمرى ؟

إبراهيم : لما استبطأتك دب إلىّ الشك ولكن سرعان ما رده حسن ظنى فيك .

عبد الله : عهدنـــا لا نخل به حتـــى لو كان به
قطع أعناقنا يا إبراهيم .

إبراهيم : تلك شنشنة فيكم يا بنى قحطان .
ثم ماذا أخشى منك وقـــد لاح لى
من شمائلك الغر ما أغوانى بالقرب منك .
(يلتفت إلى رجاله)
اذهبوا خارجا واتركونى هنا وأخى .

إبراهيم : (**لرجاله**) اذهبوا أنتم معهم ومروا أن تعد لنا .
ها نحن أولاء هنا وحدنا فتحـــدث كما شئت .

عبد الله : ما عسى أن يحدث مغلوب غالبَه ؟

إبراهيم : دعك من هذا .. كما يتحدث صنو إلى صنوه

عبد الله : قد يصح مقالك هذا ولكنى لا أزال
أمثل شعبا يقاتله ظلمـــا شعـــبك .

إبراهيم : لكن القتال انتهى الآن ..

عبد الله : لا .. لن تنتهى الحرب بين الباطل والحق .
ما دام فى الدنيا مبطل ومحق .

إبراهيم : أيسوءك عبد الله انتصار الحق على الباطل ؟

عبد الله : كلا بل أن يغلب الباطل الحق .

إبراهيم : أينا الباغى أنا أم أنت ؟

عبد الله : قد يكون الجواب شديدا عليك .
هو من جاء من أرض خصبـــــة

ليغير على واد غير ذى زرع .

إبراهيم : ما أغرنا على أرضكم طمعا فيها .. إن فى أرضنا من فضل الله لما يغنى عنها .

عبد الله : ذاك أعظم إثما وأكبر عدوانا .

إبراهيم : بل لنطفئ نار الفتنة فى نجد ، ونطيع خليفة دين الله .

عبد الله : عجبا .. نور التوحيد تعدونه نار فتنة ؟
أاستحال المعروف عندكمو منكرا
والمنكر معروفا ؟

إبراهيم : إن المسلمين جميعا يعدونكم خارجين ، ويرون لزاما أن ينقذوا الحرمين الشريفين منكم . وقد تم ذاك بحمد الله على يدينا .

عبد الله : حقا لا يحمد إلا الله على البلوى .
ماذا أدرى المسلمين بنا إلا ما بث
عدو الله خليفتكم هذا عنا
خوفا أن يرجع هذا الأمر إلى أهله ؟
هل دعوناهم إلا لله وأن لا رب سواه ؟
هل نقمنا من هؤلاء الترك سوى أنهم
قتلوا لغة القرآن وأحيوا رطانتهم ؟
أانتصارا لهذا جئت تقاتلنا يا إبراهيم ؟

إبراهيم : لكن الخلافة فيهم ، وطاعة أمر الخليفة

فرض على المسلمين .

عبد الله : كونها فيهم عنوان لإفلاس المسلمين .
أو ما فى سراة بنى الضاد من هو أهل لها
حتى يتولاها هذا التركى الدخيل ؟
أوَليس من العار أن يتلقى أبناء الحرمين
وأبناء الرافدين معارفهم بلسان الترك ؟
والله لئن دام هذا الأمر لتنقلبن
بلاد العرب وما فيها إلى طمطمانى يرطن .

إبراهيم : كلا .. لا تخف هذا يا عبد الله
ما للسان الذى نزل الفرقان به أن يمحوه
كل أهل الأرض ولو كان بعض لبعض ظهيرا .

عبد الله : ذاك وعد الله لنا بخلود الذكر ، ولكن
أين مساعينا والقيام بواجبنا فى هذا السبيل ؟
لن يعفينا ألبتة هذا الوعد من التبعة . (**يتنهد**)
لعنات الله على أبناء الضاد يقتل
بعضهم بعضا ليكونوا للأتراك عبيدا .

إبراهيم : أإلى هذا الحد أنت شبح يا عبد الله
أتلعن قومك ؟

عبد الله : لم ألعنهم لكن لعنوا هم أنفسهم .
أشبح أنا ؟ لا .. بل وقيد الجوانح
يا صاحبى مأكول الشراسيف .

ماذا تبغى أن أصنع من بعد هذا الـذى
لو به سمعت أذنى أو حلمت به فى الكرى
لأسيت . فكيف وقد شهدته ــ وا أسفاه ــ عينى
هذى مصر العربية تغزو شقيقتها نجدا
لتكون وإياها نقلا لزعانفة الترك من
كل فدم جهول لا يدرى من أمر سياسته
شيئا ، ودع عنك سياسة غيره .
يبتاع الولاية بالثمن العالى من دولته
كيما يتقاضى أضعاف أضعافه
من دماء الشعب الذى ولته عليه .
فإذا امتلأت كرشه منها ولّى عنها
بعدما عاش فيها ليخلفه فدم آخر .

إبراهيم : مهلا يا عبد الله فما زدتنى بالذى قلته علما .
لو تعلم يا ابن سعود ما أنا طاو عليه العزم
لقرت عينك وانزاح هم فؤادك .
والذى نفس إبراهيم بقبضته ما جئنا
بلاد الحجاز ونجد لنخضعها للترك ، ولكن
لنعتقها ونحرر سائر أوطان الضاد منهم
ونبنيها دولة شما تعيد لنا
ذلك المجد العربى القديم .

عبد الله : أصحيح هذا الذى قلته يا إبراهيم ؟

إبراهيم : مثلما أننى أنطق .

عبد الله : هل هذا أيضا عزم أبيك ؟

إبراهيم : لا أبيح لنفسى الجزم بشىء كهذا
فليس لدى والدى عنه فكر مبين .
لكن مطامعه ومساعيه ستؤدى
إلى هذا فى النهاية .
وسأعمل جهدى على السير فى هذى الخطة .

عبد الله : فعلام إذن ما قاتلتم إخوانا لكم
يطلبون الذى تطلبون وينوون ما تنوون ؟
أوَما كان خيرا لنا ولغايتنا لو كنا اتحدنا
على أن نخلع عنا ذاك النير البغيض ؟

إبراهيم : ليت ذلك كان بإمكاننا يا عبد الله
إذن لكفينا شر قتال أخ لأخيه .
لكن الشئون قضت أن لا تعتق العرب من
ذلها العانى ، إلا بعد أن تروت الأرض من
دمها القانى .
وقفتنا المقادير موقف خصمين يقتتلان
فيأسى كلانا لما يلقاه الآخر من بطشه .
وينال كلانا من فوز صاحبه حظه .
ولعل الله قضى بالنصر لأجدرنا
بالنهوض لهذا الشأن العظيم .

عبد الله : **(يطرق قليلا ثم يرفع رأسه)**
حقا إن مصر لأقدر منا على الاضطلاع
بهذا العبء الثقيل .
إنا لم نألك إبراهيم قتالا ، ولكن
لعل الله اختارك كيما تقوم بهذا الأمر .
فليباركك مولاى .. ولينظر للنيل
ولينسأ فى أيامك حتى تجمع شمل العرب
على دولة فى وادى النيل فتية ،
يعتز بها الإسلام وتحيا بها الأمة العربية .

إبراهيم : شكرا يا عبد الله .. ولكن أليس ترى
أنى لست من أصل عربى ؟

عبد الله : وما قيمة الأصل العربى إذا فقد الروح العربية ؟
إن لم يك إبراهيم الذى يبنى
دولة العرب العظمى عربيا ، فيا
ليت شعرى بعد من العربى ؟
إن عدنان من نسل إسماعيل فمن ذا يقول
بأن قضاعة أعرف فى العربية من
مضر وربيعة ؟
أيما عربى يخون العروبة فهى براء
منه لو كان من كندة أو عبد مناف .

(يدخل الخادم بالقهوة العربية فى إبريق فضى لامع ،

ويقدم كوبين فيتناول إبراهيم أحدهما ويقدمه لعبد الله ويأخذ الآخر لنفسه) .

إبراهيم : والآن فماذا قر عليه عزمك يا ابن سعود ؟
أقبلت شروط الصلح التى قلتها لك أمس ؟

عبد الله : نعم يا إبراهيم قبلت ؟ ولكن لى مطلبا عندك .

إبراهيم : قل ما مطلبك ؟

عبد الله : أن تعفو عن كل الأسرى وتسرحهم .

إبراهيم : قد عفوت عن الكل ..

عبد الله : أحسنت أحسنت ..

إبراهيم : إلا عن تلك الأفعى .. غالية .

عبد الله : لا تستثنيها يا إبراهيم .

إبراهيم : إنها خطر يا عبد الله عظيم ،
لا آمنها أن تحض الرجال
على فتنة عمياء جديدة .

عبد الله : إنما قاتلتكم على أنكم أتراك . ولو
تدرى أنكم ستثورون يوما عليهم
ليُجمع شتات العرب لانضمت إليكم .
هى موتورة منهم . إنهم قتلوا بعلها
فى المدينة ظلما وعدوانا .
هل يأذن لى سيدى أن أصير إليها
لأطلقها بيدى ، وأسر إليها بما

قلته لى ؟ فهى على الأسرار أمينة

إبراهيم : إن أنت وثقت بها فافعل .

(يصفق بكفيه فيدخل الغلام)

اذهب فادع لى أحمد راسم .

الغلام : طاعة يا مولاى . (**يخرج**) .

أحمد راسم : (**يدخل**) مولاى .

إبراهيم : اذهب والأمير إلى دار الأسرى ليسرحهم بيده .

أحمد راسم : والأسيرة يا مولاى ؟

إبراهيم : (**يبتسم**) والأسيرة أيضا يا راسم .

أحمد راسم : سمعا يا مولاى .

(**يخرج ومعه عبد الله**) .

إبراهيم : (**يطل من كوة الخيمة**) .

أترى الأيام تحقق هذا الحلم الجميل ؟
مصر والشام ونجد والحرمان الشريفان
والرافدان وأقصى الغرب وأدناه واليمن
شعب واحد يتكلم باللغة الواحدة ،
ويسير إلى هدف واحد ؟
أبشرى أبشرى .. ستكونين يا مصر
فخر الشرق وحاضرة الأمم العربية .
إن الوطن العربى الأكبر يتثاءب اليوم
كى يستيقظ من نومه الكهفى الطويل .

أتراه يقوم على ساعدى فينزلنى التـاريخ
مكانـا ما نالـه قبلى هـٰرون الرشيـد ؟
لست من أصل عربى ، وما قيمة الأصل العربى
إذا فقد الروح العربية ؟
إن عدنان من نسل إسماعيل ، فمن ذا يقول
بأن قضاعة أعرق فى العربية من
مضر وربيعة ؟

(يدخل أمين بك السكرتير يحمل فى يده كتابا) .

ما تحمل لى ؟ أكتابا من الوالى يا أمين ؟

أمين بك : نعم يا مولاى وفى طيه مرسوم من السلطان .

إبراهيم : ماذا يبغـى السلطـان الأحمق ؟ أحسبـه
يستعجلنى فى إرسال عبد الله إليه .

أمين بك : لم يعدُ الواقعَ ظنك مولاى .

إبراهيم : بم يهتم هذا الأحمق إلا بشىء كهذا .
ليشفى بالانتقام غليل الحقد الآكل فى صدره ؟
مسكين عبد الله .. سنلقيه للوحوش .
هذا العربى النبيل سيغدو بين أناس
لا يعرفـون الـرحمة بالكرمـاء إذا
ذلوا ، والشهامة والأريحية منهم براء .

(يعود عبد الله وأحمد راسم ومعهم غالية وهى امرأة نصف قوية البنية مديدة القامة) .

أهـلا .. هل أطلـقت الأسرى يا عبـــد الله ؟

عبد الله : أجل ولك الفضل يا مولاى ، فدعنى أقبل يدك

(يمد يده إلى إبراهيم) .

إبراهيم : كلا .. لا تفعل هذا . أنت أخى يا عبد الله

ولست بمولاك .

(يلتفت إلى غالية) .

والليثـة أطلـقتها أيضا ودخــلت بها

عندى . أفما تخشاها أن تنقض علىّ ؟

عبد الله : لم تأت الليثة إلا لتشكر فضل الليث

ولا خوف منها فقد فلّ أنيابَها جودك .

غالية : مولاى لأنت اليوم أحب الناس إلىّ

وأعظمهم قدرا عندى بعد أن كنت لى

أمس أبغض من دب فوق الأرض .

فلـيسدد خطـاك الله وتـرعك عينـاه ،

حتـى تتم على يدك الوحـدة العظمـى .

إبراهيم : شكرا شكرا .. هيه يا غالية ..

يا أيتها الليثة العاربة .

لِم أذقت المر جيوشى وجندلت أشباله

وأطلت جلادى وضاعفت لياليه .

غالية : مولاى أتنكر منى آن ذدت عن نجد الغالية ،

ودفـعت العـدا عن حماى وعـن آلـيه ؟

ولـو أن الـذى فى بالك مر على باليـه ،

لحطمت الظُّبَى وسألت لك الخير والعافية .

إبراهيم : كلا لا أنكر هذا منك .. ولكننى بك معجب .
لوددت لو أنك كنت لأبنائى أما .

عبد الله : (**يضحك**) خذها يا إبراهيم إذا شئت فهى خلية .

إبراهيم : لا .. حتى لا أرى وجهها .

عبد الله : ارفعى عن وجهك هذا البرقع يا غالية .

غالية : يكفى يا عبد الله مزاحا .

عبد الله : لتميطن هذا البرقع أو لأميطنه عنك .

غالية : أعفنى يا مولاى من مزح عبد الله .

عبد الله : لا .. لا تعفها يا إبراهيم .

إبراهيم : (**مبتسما**) نفسى لا تطوع لى إعفاءك يا غالية .

غالية : أما إذ أمرت فسمعا يا مولاى وطاعة
(**ترفع البرقع عن وجهها**) .

إبراهيم : ما أغناك عن تقلُّد السيف
وعنـــدك هذا الحسن الغنـــى .

عبد الله : وهاتان، العينـــان الغازيتـــان .

إبراهيم : الآن فهمت السر ..

غالية : أى سر يا مولاى .

إبراهيم : لماذا يستعذب القوم الموت حين يَرونك قدامهم ؟

غالية : ذاك يا مولاى لأن الشجاع يهيج الشجاع .

إبراهيم : كلا . بل لأن الجمال يحيل الجبان شجاعا .

عبد الله : ما رأيك يا سيدى . أعجبتك البضاعة ؟

إبراهيم : أعجبتنى حقا .. ولكنها .. غالية .

عبد الله : من يخطب حسناء لم يغلها مهر يا إبراهيم .

إبراهيم : لكن رضى الحسناء ضرورى يا عبد الله .

عبد الله : هى راضية لا ريب وأية حسناء لا
ترضى بك بعلا ؟
هى صامتة والصمات دليل الرضى .
فيم لا ترضى ؟ ستكون مليكة مصر ،
وبالتالى إمبراطورة للعرب .

غالية : قدك يا عبد الله مزاحا وسخرا بى .
(لإبراهيم) لم أعد يا مولاى صالحة لفتى مثلك .
إنى قد كبرت وقد وخط الشيب فى شعرى .
ولدى ابن وابنتان وزوج أقسمت أن
أرعى ذكراه فلا أتزوج من بعده .
لو رأيت حليمة يا مولاى لكانت جديرة
أن تتزوج منها ، فقد كانت عذراء
تنوف علىّ جمالا وإقداما وبسالة .
ولعل أباك تحدث عنها إليك فقد
كان شاهدها فى سياق الموت لجرح عميق
أصيبت به فى غمار الحرب مكان القلب
برّد الله مضجعها . كانت ابنة صدق يا

مولاى ، وكانت مثالا للمرأة العربية .

إبراهيم : حقا فحدثنى عنها والدى بأمور عجب .

(**تجهش غالية بالبكاء**) .

هل تبكين يا غالية ؟

غالية : ما بكيت على أحد ما بكيت عليها يا

مولاى ، لقد كانت ملكا فى صورة إنسان .

عبد الله : (**متأثرا**) رحم الله مضجعها ! إن نجدا لم تنجب

درة مثلها منذ أيام الخنساء .

ما توالت هزائمنا إلا بعدها .. إنها

كانت نجم نجد .. فلما هوى ذهبت ريح نجد .

إبراهيم : خفض يا عبد الله عليك فسوف ترى

نجد منا كل خير .

سيظل بنوك هنا سعداء كما كانوا

هانئين بأموالهم ومبانيهم .

أما أبناء أبيك فسوف يقيمون فى

طيبة الغراء وأجرى عليهم ما يكفيهم من الأرزاق

غالية : والأمير .. أمرسله أنت بعد إلى السلطان ؟

ألا تبقيه هنا بين أهليه يا مولاى ؟

إبراهيم : لوددت ورب الكعبة لو نستطيع

إجابة ما تطلبون . ولكن السلطان

يلح علينا بإرساله إلحاحا شديدا .

لكننى سأكتب للسلطان بأن لا يعامله
إلا بالخير وسوف يؤكد هذا الرجاء
أبى بكتاب منه فلا تقلقوا واطمئنوا .

عبد الله : إن ضمنت نجاتى أسافر طيبة نفسى يا إبراهيم .

إبراهيم : لا أضمن ما لا قدرة لى يا عبد الله عليه .
ولكنى أحسب السلطان سيقبل رجوانا
ويعف عن التنكيل بخصم ألقى إليه السلم .

غالية : لا تسافر إذن يا أميرى فإن الأتراك لا
ريب يبغون رأسك .
(لإبراهيم) إن تكن صادقا فى مساعيك يا مولاى ،
ففيم تطيعون هذا الدخيل الضعيف الذى
تدعى أنه سلطان الإسلام والمسلمين ،
وليس له قوة إلا بجنود أبيك ؟

إبراهيم : نحن مضطرون لطاعته اليوم حتى
يشتد ساعدنا وتتم قوانا يا أختاه ،
وإلا أحبط أعمالنا فى مصر وفى غيرها
قبل أن نستوثق من نجاحنا فى الوقوف أمامه .

عبد الله : إنى قد وعدتك وعدا وما كان لى
أن أرجع فيه . ولو عزم السلطان
على أن يقطع رأسى وأوصالى
فأناشدك الله إلا ما عجلت بتسفيرى .

لا أطيق اللُّبث هنا . لا أطيق الوقوف على
أطلال ديارى وآثار سلطانى الذاهب .
(**يطفر الدمع من عينى عبد الله**) .

إبراهيم : **ما مثلك من يبكى .. هون يا عبد الله عليك .**

عبد الله : لو لم أعبرك أخا ما بكيت لديك .
إنها دمعة المحزون الصابر تجمد فى
حضرة الأعداء ، وتهمر فى حضرة الأصدقاء .
وإنــى بعــد لراض كــل الـرضى بقضاء الله .

إبراهيم : (**متأثرا**) إن أردت السير يا عبد الله
على اسم الله . وسوف ترى فى مصر أبى
وترى كل بر منه وإكرام وحفاوة .

عبد الله : (**ينهض**) سأودع أهلى وأولادى ــ أوصيك بهم
خيرا يا إبراهيم . وأوصيك بالناس فى نجد
خيرا .
(**يهم بعناق إبراهيم**) .
الوداع أخى ..

إبراهيم : لا تودعنى الآن . إنى آت لتشييعك .

عبد الله : شكرا يا إبراهيم لحسن صنيعك .

(**يخرج عبد الله وتتبعه غالية وهى تبكى ، ويقف
إبراهيم متأثرا يغالب دمعتين فى عينيه ورجاله
أمامه خاشعون**) .

(**ستار**)

المنظر الثانى

(فى مصر : فى قصر إبراهيم باشا بالجيزة ــ فى قاعة الاستقبال قاعة كبيرة مستديرة على جدرانها نقوش فنية ، وكلها مفروش بالسجاد الثمين ــ تمتد على جوانبها أرائك مفروشة بالمخمل الأخضر وفوقها وسائد مبطنة بالحرير ــ للقاعة بابان أحدهما فى نهاية الصدر للمسرح من جهة اليمين وهو الباب الذى يدخل منه الضيوف من الخارج ، وأما الثانى فعلى جدار المسرح الأيمن وهو يؤدى إلى المصلى ودار الضيوف النازلين على القصر ، وبين البابين خزانة صغيرة بديعة للكتب) .

(يرى إبراهيم باشا واقفا قرب الباب الخارجى لاستقبال الأمير بشير الشهابى أمير لبنان ــ يدخل الأمير بشير) .

بشير : السلام على مولاى الأمير .

إبراهيم : **(يصافحه)**

وعليك السلام .

أهلا بأمير الجبل .

بشير : يالأمير الطريد المعزول يا مولاى .

إبراهيم : أنت معزول يا بشير ولكن لست طريدا .
بوادى النيل السعيد إيواء مثلك .

بشير : حقا .كادت مصر تنسينى بلدى ما
بالغت فى إكرامى والحفاوة بى .
إنى عاجز عن شكر أيادى أبيك العظيم
وشكرك يا مولاى .

إبراهيم : لم تفعل سوى بعد ما أنت أهل له يا بشير .
(يقصدان فى صدر القاعة على الجانب الأيسر من المسرح) .

بشير : والله لقد ضمدتم جراحى وأشعرتمونى
أن لنا أبناء العرب بمصر ملاذا
من الجور التركى .

إبراهيم : لكن كلنا فى معاناة هذا الجور سواء .

بشير : أو قل مصر أسوأ حالا منا لقوتها
بالقياس إلى ضعفنا .. أوَليس عجبا أن
تبقى مصر تابعة للترك ولا تُخشى
دولة الترك إلا بقوة مصر .
قد يهون القيد على المستضعف أما القوىّ فلا .

إبراهيم : لا ، ولا سيما إذ يفرض هذا القيد ضعيف أحمق مستكبر .

بشير : ليت شعرى متى تتحرر أقطارنا من هذا النير الثقيل

(يتنهد) ينفيني من أرض آبائى هؤلاء العلوج .

إبراهيم : ستعود إليها رغم آنافهم .

بشير : سأعود إليها ذليلا باستشفاع أبيك لهم .

لن يطول مقامك فيها على ذل طاعتهم ،
حتى نستخلصها منهم ونشردهم
عن حدود بلاد العرب .
إن مصرا والشام صنوان يكمل بعضهما
بعضا ، لا يستغنى واحد منهما عن أخيه
من عهود الفراعنة السابقين ، وفى
عهدى الفاطميين والأيوبيين .

بشير : هذا ما حدثنيه مرارا أبوك العظيم .

إبراهيم : بل عندى أكثر من هذا يا بشير .

إن هذى الشعوب التى تتكلم بالعربية
من أقصى السودان إلى طوروس ، ومن
بحر الظلمات إلى البحر العربى وشط العراق ،
لَمِن حقها أن لا تبقى هكذا متناكرة
تحت هذا الحكم المغولى الهدام .
لا بد لها من يوم تعرف فيه
سؤددها المسلوب وتجمع فيه الأمر .
فويل يومئذ للطغاة المستعبدين
إنا لن نغلب من قلة يا بشير ،

لا ننقص عن أمة النمسا عددا
أو شعب فرنسا أو الأمة الإنجليزية ،
ولدينا من روح الإسلام ومن مثله العليا
ما يجعلنا قوة لا تقوم لها قوة فى الأرض .

بشير : ليتكم ما قضيتم على الوهابيين بنجد ،
إذن لعسَوا أن يكونوا عونا لكم فى هذا الأمر
فقد كانوا شوكة أخرى فى جنب الأتراك
فانتقشوها بكم .
سلطوكم عليهم ليقضوا عليهم ثم عليكم .

إبراهيم : ما قلت صحيح . ولكنا كنا فى ظروف قاهرة
حملتنا على إرضاء السلطان من جهة ،
وعلى تحقيق سلامة مصر من جهة أخرى .
فضلا عن أن ليس فى وسع نجد أن
تتقلد هذا الأمر الخطير لفقر مواردها
وتفوق مصر عليها فى العدد الحربية ،
والعلم والآداب وأسباب المدنية ،
وأنا المتحسر بعد على ما حل بهم
منى يا بشير .

بشير : أو يا ليتكم إذ قضيتم عليهم عفوتم عن
عبد الله عاهلهم .. ما كان جديرا أن
يُرمى بين أرجل تلك الوحوش لتشرب من

دمه العربى وتصلبه وتمثل به .

إبراهيم : هذه غصة أخرى فى حلقومى يا بشير .
ما كنا نظن القوم ينالون من خصم
قد ذل لهم وأتاهم ضيفا عليهم .
ما كنا نحسبهم يرفضون شفاعتنا
فى ذاك الأمير الشهم . ولم نلتمس منهم
إلا ما يوجبه الإحسان عليهم والإنسانية .
لكن ليس هذا أول مرجو لى أو
لأبى خاب فى هذا السلطان .
والله لضاعف مقتل عبد الله كراهيتى
للقوم . وأرث من حقدى المشبوب عليهم .
والله لأنتقمن له منهم .
(**يدخل الكولونيل سيف**) .
أهلا بصديقى سليمان ! أين تغيبت عنا طويلا ؟

سيف : كنت أشهد تدريب الجيش يا مولاى .

إبراهيم : حسنا ..
(**للأمير بشير**) .
أيسرك يا سيدى أن تعرف قائدنا الإفرنسى المسلم ؟

بشير : أهو ذا الكولونل سيف يا مولاى ؟

إبراهيم : هل تعرفه ؟

بشير : قد سمعت به وبخبرته فى فنون الحرب .

إبراهيم . : الأمير بشير الشهابى يا كولونل .

سيف : أهلا بأميرى النبيل .. تشرفت يا مولاى .

إبراهيم : سيكون لنا سيف عونا على فتح سوريا
إن شاء الله .. أليس كذلك يا سيف ؟

سيف : أنا طوع يمينك يا مولاى .
سيف ماض فى خير يمين .

إبراهيم : إنه يا بشير ليؤمن كل الإيمان بالفكرة العربية .

بشير : أتراها ممكنة يا جناب القائد ميسورة ؟

سيف : هى يا مولاى طبيعية لا يعوزها إلا
حسن التدبير وصدق العزم لتبرز من
عالم التفكير إلى عالم الواقع .
ما زلت بها مؤمنا مذ سمعت النسر الفرنسى
نابليون يقول بها ، إذ رأى ببصيرته
أن هذى الدولة لا بد من شطرها شطرين .
وأن بلاد الضاد الأحرى أن يستقل
بها ملك عربى .. وقال لنا يوما
إن أولى الناس بهذا الأمر محمد على
وعسى الأيام تحقق ما قال نابليون .

إبراهيم : كيف سارت شؤون التدريب يا كولونل ؟

سيف : سيرا حسنا يا مولاى .

إبراهيم : كيف ترى الجندى المصرى يا كولونل

هل ينقص فى شىء عن أخيه الأوربى ؟

سيف : كلا يا مولاى . بل هو أصلب عودا
وأصبر منه وأطوع .

إبراهيم : أوَما تلقى عنتا فى تدريبه التدريب الحديث ؟

سيف : كل مستحدث صعب ولكن كل صعب يا
مولاى على الأيام يهون

إبراهيم : أتصدق ما قيل إن وداعة سكان الوادى
لا تهيئهم للحرب ؟

سيف : لا يا مولاى فما هو إلا اختلاق وزور
أوَلم يطرد أحمس الهكسوس بهم ؟
أوَلم يستولوا على الشام حتى أعالى الفرات ؟
أوَلم يدفعوا هجمات التتار عن الشرق العربى ؟
أوَلم يقفوا سدا فى وجوه الصليبيين ؟
إنما فقدوا الروح الحربية واستخذوا
بعد استعباد الترك لهم .

إبراهيم : ليت شعرى متى نستغنى بهم عن
عصابات الأكراد وعن فرق الأرنؤوط ؟

سيف : سترى ما يسرك منهم يا مولاى .

إبراهيم : أوَلست ترى أن الترك أشجع فى المعمعان
وأمضى على الأهوال ؟

سيف : إن الشعب المصرى لشعب شجاع نبيل .

ولكنه لم يكن بالمثل الذى يستمد
شجاعته من غلظته وبلادة حسه ،
وستعلن حملته البحرية لليونان .
كفايته وكفاية أسطوله للعالم أجمع .

بشير : لكن سيكون الغرم على مصر يا مولاى
وللسلطان الغنم كدأبه .
لِم لا ترفضون معونته فى الحرب مع اليونان
وتغزون سوريا استنجازا لسابق وعده ؟

إبراهيم : ليكونن هذا آخر عون نقدمه
للترك ، فإن لم يوفونا وعدهم بعد ذاك
يضم الشام إلينا . لننفتلن إليهم
ونتخذن القوة ما بيننا حكما .
بعد أن يعرف الأشهاد بطولتنا ويروا
بأسنا فى ميادين اليونان .

بشير : آه . سيطول بنا الانتظار إذن حتى
ترجعوا من هذى الحرب . ومن يدرى
أتعودون بالنصر أم بالتى لا أحب لكم .

سيف : إنى واثق بالنصر إذا لم تقف
دول الغرب فى صف اليونان .

بشير : أتراهم لا يدفعون عن اليونان إذا
ما رأوا أنكم ظاهرون عليهم ؟

(يدخل الغلام ويدنو من إبراهيم فيسر إليه كلمات

إبراهيم : (**للغلام**) دعه يدخل .

(**ينطلق الغلام**) .

(**لبشير**) سترى الآن جاسوسا من جواسيس الأترا

وهم فينا كرجال النفاق بعهد الرسول .

يَشُون بنا ويذيعون أسرارنا للقوم

وليس لنا من سبيل لتأديبهم . أوه من

هذا النير أوه . متى نرميه ؟ متى نلقيه ؟

بشير : قريبا نخلعه من أعناقنا بيدك .

إبراهيم : بيدى هذى الجذباء ؟ بيمناى هذى القصيرة ؟

بشير : جذبت أيدى أعدائك يا مولاى . لئن

قصرت يمناك فسيفك يا مولاى طويل .

إبراهيم : أرنى يا صديقى يمناك ..

(**يعرض بشير يمناه لإبراهيم ضاحكا**) .

ما أطولها . ما أبرعها يا بشير !

بشير : ما طالت أيماننا إلا لك يا ابن محمد

إبراهيم : وعلى أعداء ..

بشير : العرب .

إبراهيم : مرحى .. مرحى يا بشير !

(**يهز يده هزا عنيفا**)

(يدخل صابر بك ويحيي إبراهيم منحنيا حتى يكاد

الأرض) .

صابر : سيدى . مولاى . صباح الخير .

إبراهيم : مرحبا بك يا صابر

صابر : شكرا لك يا مولاى للطفك يا مولاى ،
بعبدك يا مولاى ، بموطئ نعلك يا مولاى ،
ليرفع أسمى تهانيه القلبية يا مولاى
إلى أعتاب جنابكم الفخم يا مولاى ،
بما أنعم السلطان عليكم به من
إمارة مكة يا مولاى ، وأنتم جدير
بهذا العطف الشاهانى الأكبر يا مولاى ،
رتبة أعلى من أى سواها يا مولاى .
لأى سواكم فى أنحاء المملكة العثمانية
لم ينلها سواكم يا مولاى ، وأنت أحق
بها من كل صغير وكل كبير فى الدولة .

إبراهيم : إن هذى التهانى أحرى بها أن توجهها
لأبى ، فهو أولى بها منى ، إذ له فضلها
لا لى ..

صابر : لا بل لك يا مولاى لما وضع السلطان
من الثقة العظمى فيك يا مولاى ، ولاح له
من بطولتك العليا وكفايتك الكبرى
فى كل الشئون التى نيطت بك يا مولاى ،

فضلا عن نضر شبابك يا مولاى ،
وماضى عزمك يا مولاى ، وكامل إخلاصك

إبراهيم : قدك يا هذا .. إن هذه الرتبة أو غيرها
مما هو أعظم منها إذا أسندت لى فقد
أسندت لأبى . إنى لا أملك لى فضلا
إلا ما تحدر منه إلىّ ..
وإذا ظن الحمقى أن هذا يثير التنافس
بين النجل البرّ وبين أبيه العظيم
فقد ضلوا والله ضلالا بعيدا .
ثم فيم تهنئنى بإمارة مكة يا هذا ؟
إنى لن أرضى عن سلطانك حتى
ينصف والدى المطلوب ويعطيه حقه
غير منقوص شيئا . أو لا فلأنتصفن
بسيفى منه وسوف يرى أنى أنا إبراهيم
أما قنديا فاعلموا أنها لا تساوى
مهجة نجدى واحد عندى .
فإذا كان السلطان حريصا على أن تبقى المودة
ما بيننا فليرع العهد لوالى مصر . وإلا
فإن السيف الذى سل من أجله فى نجد
ما زال فى كفى لأبز به سوريا من يده .

صابر : هل تعصى الخليفة يا مولاى ؟

إبراهيم : إنى لا أعصى خليفة مصر ، فأما
خليفة اسطنبول فإن يعصنا نعصه .

صابر : لكن الخليفة للمسلمين جميعا يا مولاى .
(**يصفق إبراهيم بيديه ويحضر الغلام**) .
يا غلام آتنى بالشيخ رفاعة .

الغلام : طاعة مولاى .
(**يخرج الغلام**) .

إبراهيم : من ذا استخلف الأتراك على المسلمين
وكيف حظوا بالخلافة ؟

صابر : منذ أعلنها السلطان سليم يا مولاى .
وقد فتح القطر المصرى بعون الله وتأييده .

إبراهيم : (**متهكما**) فتح القطر المصرى بعون الله وتأييده ،
ثم ماذا ؟ أقام العدل به والشريعة والأحكام .
وأنعش آداب الإسلام . أليس كذلك يا صابر ؟
وبهذا استحق خلافة دين الله . أليس
كذلك يا صابر ؟
(**يدخل الشيخ رفاعة الطهطاوى حاملا قطرا فى يده**) .

رفاعة : السلام عليكم

بشير : وعليكم السلام .

رفاعة : الأمير بشير هنا .. أهلا بالأمير .

بشير : مرحبا بك يا سيدى .

إبراهيم : هات تاريخ ابن إياس .

رفاعة : سمعا مولاى .

(يذهب إلى خزانة الكتب ويخرج منها كتاب بدائع الزهور فى وقائع الدهور) .

إبراهيم : أسمعنا ما جاء فيه عن السلطان سليم
إذ جاء مصر ، ليعرف ذا الشخص المغرور به
أى وحش كان سليم وكيف استحق الخلافة .

رفاعة : **(يتصفح الكتاب ثم يقرأ بصوت مسموع) .**
وفى مدة إقامة ابن عثمان بمصر لم يجلس بقلعة الجبل على سرير الملك جلوسا عاما ، ولا رآه أحد ، ولا أنصف مظلوما من ظالم ، بل كان مشغوفا بلذته وسكره وإقامته فى المقياس بين الصبيان المرد ، ويجعل الحكم لوزرائه بما يختارون ، فكان ابن عثمان لا يظهر إلا عند سفك دماء الجراكسه وما كان له أمان إذا أعطاه لأحد من الناس ، وليس له قول ولا فعل ..

إبراهيم : انتقل إلى موضع آخر .

رفاعة : (**يقرأ**) شكا الناس من أذى العثمانية الذين بمصر ، وتزايد منهم الفساد فى حق الناس وصاروا يتوجهون إلى الأماكن التى فى زقاق الكحل والمسطاحى والتى فى الجر وحكر الشامى والأزبكية ، ويأخذون ما فيها من الأبواب

والشبابيك والسقوف الحديثة والطيقان ، ويحملونها على
الجمال بين الناس على النداء والإجهار، ويبيعونها بأبخس الأثمان . .

إبراهيم : يا رفاعة حسبك شنفت أسماعنا بمناقب من
فتح القطر المصرى بعون الله وتأييده .

سيف : يا له من وصف شنيع !

بشير : هذا بعض ما كان يحدث فى قطرنا منهم .

إبراهيم : أسمعت مقال التاريخ فى سلطانك يا صابر ؟

صابر : هذا كذب يا مولاى .

إبراهيم : قول ابن إياس يحتمل الصدق والكذب ، ولكن
تؤيد صحته أعمال ولا تكمو فينا .
أنكذب أعيننا أيضا من أجلك يا صابر ؟

صابر : هذا شىء لا يطاق . تهينون تاريخنا ،
وتهينون مولانا السلطان .

إبراهيم : من يهنا نهنه ، ومن يكرمنا نكرمه وزيادة .

صابر : عجبا لك يا مولاى ، تسب الترك ومنهم أنت ؟

إبراهيم : صه يا هذا . . لست تركيا[1] .
إنى قد جئت لمصر صبيا .
حيث مصرنى شمس الوادى
وأحالت دمى فى عروقى دما عربيا .

(ستار)

---

(١) هذه الجملة مأثورة عن إبراهيم باشا نفسه ، وقد أوردها الأستاذ عبد الرحمن الرافعى بك فى كتابه تاريخ الحركة القومية (ج ٣)

المنظر الثالث

جانب فسيح من العراء خارج أسوار عكاء وعلى مقربة من معسكر إبراهيم باشا على يمين المسرح (غير ظاهر فى المنظر) .

يظهر على بعد من هذا المكان جانب من سور المدينة وقد أحدثت فيه المدافع المصرية ثلاث ثغر .

(تدخل نعامة من يسار المسرح) .

.

نعامة : أبتاه ، سلام الله عليك . رحلت على
غرة منا ومضيت كما أمس الدابر .
قتلوك وما هابوا شيخوختك البيضاء
ولا رحموا ضعفك .
اليوم عرفت اليتم المضاعف عن أمى وأبى .
ويل للقاتل ! ويل له منى ! لن
أتركه يتمتع بالعيش من بعدك ،
لن أتركه قط يمرح حرا فوق الأرض
وأنت ببطن الثرى ثاو وأسير .
يا ليتك يا والدى لم تناصر عبد الله ،

فعبد الله فتى غدار لا يرعى عهدا .
خلاك لبطش المصريين . ولم يمدد
— كما وعد الملعون — بمال ولا برجال ،
وتحصن فى قصره خلف أسوار عكاء
ترتد عنها المدافع .والهة حسرى .
بل ليتك حالفت الغازى المصرى ، فمن
يدرى قد يكون لنا خيرا من عبد الله ،
وقد يكفينا شر زعانفة الأتراك .
واهالك يا أبتاه ! أبيت الغدر
بعبد الله وإن كان عبد الله غدورا .
لو كنت كغيرك من أشياخ القبائل
أبتى ، لأفدت جدا من إبراهيم ومالا كثيرا .
ويل إبراهيم القاتل ! ويل له منى !
سأصير إليه بأى سبيل على أى حال
ولو كان فى برج عال دونه ألف باب
وألف حجاب — سأقتله أو يقتلنى .
لن أعول بعد اليوم على تامر أو زيد .
فقد قضيا شهرا دون أن يدركا منه شيئا .
من هذا الفتى المتسلل نحوى ؟ أحسبه
زيدا ابن عمى .. أجل هذا زيد نفسه .
(**يدخل زيد من يمين المسرح**) .

زيد : أهلا بحياة الروح . أأنت هنا ؟ ماذا
تصنعين هنا يا نعامة ؟

نعامة : بل قل أنت ماذا صنعت ؟ وأين أخى
تامر ؟ هل أدركتما غرة من إبراهيم ؟

زيد : قد طلبنا غرة إبراهيم مرارا ولكننا
لم نوفق لها بعد .

نعامة : تبا لكم إنكم جبناء ولست بمن يدركون الثارات .

زيد : لسنا جبناء ولكن الأمر ليس يسيرا
كما تحسبين . وها هو ذا تامر فاسأليه .

تامر : (**يدخل**) أهلا بك يا أختاه . أأنت هنا ؟
(**يحاول عناقها**)

نعامة : لا . لا . إنى أقسمت بأن لا تعانقنى
يا تامر إلا إذا جئت تحمل لى البشرى .

زيد : عيرتنا أختك بالجبن يا تامر .

تامر : صدقت فيك . ما أنت إلا جبان . فقد
أمكنتك الفرصة أول أمس بوادى الزراعة
بعد اندحار الترك ، إذ انفرد الغازى
عن فرسانه فأضعت الفرصة من جبنك .

زيد : لم يكن يا تامر منفردا فإن سرحان كان
يراقبه من محل غير بعيد ، وقد
ألقى نظرة كالسهم إلى ، حسبت بها

أنه كان بعرف مضمر قصدى فما كان منى
إلا أن حدت عن وجهه كيلا يرتاب أمرى .
ماذا غير دا كنت تصنع لو كنت فى موضعى ؟

تامر : لانطلقت إليه انطلاق السهم بالحفنة يا أبى

زيد : أتخال الفتك بإبراهيم يسيرا ؟ ألم
تعلم أنه بلو الناقة الفرجاء
بضربة سيف فيشطرها شطرين ؟

نعامة : ليته شطرك .

زيد : ثم سرحان . ما كنت تصنع فى سرحان ؟

تامر : ليقتلنى سرحان إذا استطاع بعد نجاتى فى غرضك .

زيد : أتقول إذا استطاع سرحان يا تامر
أوَلم تره فى وادى الزراعة كيف أرى
جند الأتراك نجوم الظهر وجدّل أبطالهم
وأعار على مدفعيتهم بفصيلته
وهى تلد بالنيران تظاهر من حوله
وتقول إذا استطاع سرحان يا تامر ؟

نعامة : تبا لك يا منخوب القلب . لبئس لعمر الله
حليل الكريمة أنت . وبئس أبو الأبناء .

زيد : لا تهجبنى يا نعام فسوف ترين
أبا ماجدا منى وحليلا كريما .

نعامة : اسكت .. لست ابنة فهد إذا

ما رضيت بمثلك لى بعلا ..

زيد : أكذا أفسدت علىّ نعامة يا تامر ؟

تامر : إن فى إمكانك أن تستصلحها حين تصلح ما أفسد

نعامة : لن أعول بعد اليوم على أحد منكما
سأصبر إليه وأقتله بيدى .

تامر : أنّى لك يا أختاه الوصول إليه ؟

نعامة : سأصادق ذاك الفتى النجدى وأنفذ منه إليه .

زيد : ستصادق ذاك الفتى النجدى ! أمجنونة أنت ؟

نعامة : مجنونة هبنى . إن جبنك جننى .

تامر : أنت غيران يا زيد .. ماذا تخاف عليها منه ؟
سوف تختله عن سيده حينما يطمئن
إليها ويهواها ..

زيد : أو قل حينما تطمئن إليه وتهواه .

تامر : اصمت يا سافل . ماذا يضير الشريفة أن
تهوى بطلا مثل سرحان ما صانت عرضها .
دعها تفعل ما تشاء ولا تجهل أنها ابنة فهد .

زيد : إن قولى يؤذيكما .. لا بأس سأصمت حتى
أرى ما عسى تفعل ابنة فهد مما أعيا ابن فهد .

تامر : قولى يا أُخيَّة ، هل تعرفين الفتى النجدى ؟

نعامة : إن لم أعرفه سألت الذى يعرفه .
أوَلم يقدم من سهل الزراعة ليلة أمس ؟

تامر : بلى .. إنه دائما مع إبراهيم .
ما أنت لسرحان قائلة يا نعامة ؟.

زيد : حقا ماذا أنت قائلة له ؟

تامر : صه . أما التيـــزم الصمت فوك ؟

نعامة : اتركا لى هذا فما لكما شأن به .
عجبا ! هذا حس أشخاص قادمين .
من هم يا ترى ؟.

زيد : علهم حراس يطوفون حول المعسكر .

(زيد وتامر يستروحان القادمين)

تامر : هذان شخصان من حراس المعسكر لا ريب .
فلننصرف من هنا كيلا يرتابا بنا .

زيد : هيا يا نعامة .

تامر : هيا يا أخت .

نعامة : لا بل سأبقى هنا انصرفا أنتما .
لا تخافا علىّ .. سأبدأ فى عملى الآن ..

تامر : الله معك .

(ينسحب تامر وزيد إلى جهة اليسار ويغيبان)

نعامة : يا مكر المرأة أسعفنى . قونّى يا رب .

(يدخل الحارسان من جهة اليمين)

أحد الحارسين : هذى امرأة تمشى وحدها .. ماذا تبغى ها هنا ؟

الآخر : ماذا تصنعين هنا يا امرأة ؟

نعامة : حفظ الله مولانا الباشا . أنتما من رجاله ؟

الحارس : إى والله ، ما تصنعين هنا ؟ أوَلم تعلمى
أن السير ممنوع فى هٰذى الحدود ؟

نعامة : ممنوع على غيرى يا صديقى .

الحارس : من أنت يا هٰذى ؟

نعامة : إنى امرأة من نجد أريد أن أرى سرحان .

الحارس : سرحان ؟

نعامة : أجل .. سرحان ابن عمى .. ألا تستطيعان أن
تخبراه بأن هنا امرأة من نجد تريد أن تراه ؟

الحارسان : حسنا . سنقول له . انتظرى هٰهنا .

نعامة : شكرا لكما من جنديين كريمين .

(ينصرف الحارسان)

ليت شعرى أيأتى الفتى النجدى إلىّ ؟

(تصلح من شعرها وتخرج منديلها فتمسح به عينيها ، ثم تخرج مرآة صغيرة فتنظر فيها ثم تعيدها إلى جيبها)

هل يلبى دعوة مجهولة مثلى ؟ هل يسعى
إلىّ الشجاع الذى لقى الأتراك على
سيفه حتفهم . كى يلقَى على عينى رداه ؟
ها هما الرجلان .. أذاك الذى فى إثرهما سرحان ؟

(يدخل الحارسان وفى إثرهما سرحان)

أحد الحارسين : هٰذه هى يا سيدى .

سرحان : حسنا . اذهبا أنتما مشكورين يا أخوىّ .

نعامة : (**على حدة**) هل تكذبنى عينى . أم هذا عين الفتى النجدى الذى كان مر على حينا لهفان فأسقيته ماء ؟

(**ينصرف الحارسان**)

هذا توفيق جميل سوف يذلل من صعبى .

سرحان : أمة الله ها أنا سرحان . ما حاجتك ؟

نعامة : أهلا بك يا سرحان .

سرحان : مرحبا بك يا سيدتى .

نعامة : لا تقل لى سيدتى . إنى ابنة عمك يا سرحان .

سرحان : أهلا بابنة العم . هل من مرام فأقضيه لك ؟

نعامة : لا شيء سوى أن أراك .

سرحان : شكرا يا ابنة العم . هذا لطف منك .

دعينى أعرف ما حاجتك ؟

نعامة : حاجتى يا ابن العم أن أتأمل سر البطولة فى عينيك .

(**تسقط النقاب عن وجهها بلباقة**)

عفوا يا ابن العم ..

(**تعيد نقابها**) تبا نقاب الشؤم .

سرحان : (**يتلعثم**) معاذ الله .. نقابك هذا نقاب الحسن .

ما دفاعك عن خرقة ضمت حسنك

إلا أن يدركها للب من نور محياك .

نعامة : أمدير حروب يا سرحان وشاعر ؟

سرحان : ما قلت الشعر ولكنى سبحت بحسنك .

نعامة : ويل لك .. هذا أشعر يا سرحان .

(يسقط نقابها ثانيا فتعيده ، فيسقط فتعيده)

سرحان : هذا الوجه غير جديد على عينى ، كان لى عهد من قبل به .. أين أبصرته يا ترى ؟

نعامة : ربما أبصرت فتاة تشبهنى .

سرحان : كلا بل رأيتك من قبل ، لا شك عندى فيه ولكن أين رأيتك ؟ لا أذكر الآن ..

نعامة : ما أسرع ما تنسى أصدقاءك يا سرحان .

سرحان : النغمة هذى تعرفها أذنى .

نعامة : هل أسقيك ماء يا سرحان ؟

سرحان : أجل . أنت ذات السقاء التى أكرمتنى أول ما جئت من نجد منذ ستة أشهر .

نعامة : الآن تذكرت يا سرحان .

سرحان : كيف حالك يا أختاه وحال ذويك ؟

نعامة : (**تتنهد**) بخير يا سرحان .

سرحان : أين كنت طوال المدة ، يا طالما اشتاقت عينى أن تراك .

نعامة : كان هذا أيضا حالى معك .

سرحان : كيف جئت إلىّ ومن أدراك بأنى هنا ؟

نعامة : لم يبق بأحيائنا من لا يعرف البطل النجدى .

سرحان : أنت امرأة من نجد كما أخبر الحارسان ؟
نعامة : بلى .. أنا من نجد لكن ليس لى سحر ليلى وا أسفاه .
سرحان : ليلى ؟ أنت أسحر من ليلى .
نعامة : إن ليلى كان لها قيس يا سرحان .
سرحان : كل الورى يا ... ما اسمك يا أختاه ؟
نعامة : نعامة يا سرحان .
سرحان : نعامة .. كل الورى يا نعامة قيس لك .
نعامة : لا شاغل لى إلا قيس واحد لا يبالينى .
سرحان : من هذا القيس الذى لا يباليك يا ...
قولى الصدق ما اسمك يا أختاه .
نعامة : نعامة يا سرحان .. ألم يعجبك اسمى ؟
سرحان : ما أصغر هذا الاسم إليك !
فيم لم يسموك ملاكا أو قمرا أو حياة أو كوثر .
نعامة : أتنال من اسمى فى وجهى ..؟ تبا لك يا سرحان !
سرحان : أهو اسمك حقا يا أختاه ؟
نعامة : هو اسمى والله يا سرحان .. اتحقرنى من أجل اسمى ؟
سرحان : لا ورب الكعبة يا أختاه .. لئن كنت
صادقة ففدى للنعام أبى وعشيرتى .
ليسموك ما شاءوا يكن اسمك فى شفتى
شهدا ومداما .. وفى كبدى بردا وسلاما .
والله لو أنك سموك جلمودا لعشقنا الجلاميد .

نعامة : لكن لا أحب السراحين يا سرحان

سرحان : فيم يا أختاه ؟

نعامة : لأن السراحين لا ترعى عهدا .

سرحان : سرحانك لا كالسراحين يا أختاه كما أنك لا كالنعام .

نعامة : هل تزوج سرحان يا سرحان ؟

لِم لا يتزوج يا سرحان ؟

سرحان : لا نعامة ترضاه

نعامة : وإذا رضيته ؟

سرحان : فسوف تراه أسعد زوج .

نعامة : وإذا لم تكن من نجد أبوها أيضا ؟

سرحان : إنه قد درى أنها ليست من نجد .

نعامة : كيف درى ؟

سرحان : من لهجتها الشامية ذات اللحن الحلو .

نعامة : هل يرضاها — وهو نجدى — زوجا غير نجدية ؟

سرحان : لِم لا ؟ ذاك مما يزيد القلب بها نوطا

ما الشام ونجد سوى دارين يؤلفنا

فيهما وطن واحد ، نسب واحد ، لغة واحدة .

وإذا نصر الله إبراهيم وحررنا من نير الترك ،

فسوف يؤلفنا وجميع بنى يعرب ملك واحد .

نعامة : هل ترضون الغازى المصرى الذى يغزو

أرضنا ويثل ممالكنا ويقتل آباءنا

وشيوخ قبائلنا ، هل ترضونه ملكا للعرب ؟

سرحان : إنه لم يقتل منكم سوى من ناصر أعداءكم ،
أو ألقى العواثير فى سبيل الوحدة العظمى .
إن سيف العروبة قد حل من غمده فهو يفرى
رقاب العدو وأعناق أبنائها الخائنين .
ولن يطمئن إلى غمده أبدا حتى
تعتق العرب من ذلها ويتم استقلالها .
ويرف لواء العز على الوطن الأكبر .

نعامة : هل كنتم خوانا للعروبة إذ قاتلتم
جيوش المصريين بنجد ؟

سرحان : كلا يا نعامة ما كنا إلا أوفياء لها
إذ قاتلناهم على أنهم أعوان الترك
الذين أبينا الخضوع لهم . وأردنا أن
ننقذ العرب من ظلمهم . قبل أن نتبين
نيات إبراهيم . فكان الذى كان ما بيننا
وأدال الله لمصر القومية منا ، فلم
تبرم بقضاء الله علينا لينهض إبراهيم
بما لم ننهض به من جمع شتات العرب .
إن أمى التى قاتلت جيش إبراهيم وجيش أبيه ،
أبت إلا أن تبيع الحلى الذى معها
لتجهز لى لأقاتل فى جيش إبراهيم

لفتح بلاد الشام وتخليصها من أيدى الترك .
ولقد عاهدتنى على أن أفديه بدمى
وأدافع عنه إلى أن أذوق الموت .
(يصوب النظر فيها) .
ولعل الله جزانى على نصحى فى طاعة أمى
بأن ساق لى وجها كنت أطلبه فى الناس
فلا ألقاه ويطرقنى فى أحلامى .
(يدخل غلام سرحان) .

الغلام : سيدى .

سرحان : **(يلتفت إليه)** ما وراءك ؟
(يشير الغلام أن أقبل فيدنو سرحان منه فيسر إليه الغلام حديثا) .

نعامة : **(على حدة)** ما هذا العطف الذى أحسست به
نحو هذا الفتى النجدى ؟
ويله يكاد يستلُّ من نفسى بغض إبراهيم .
أترانى أحببته أم أحببت إبراهيم
أم الاثنين معا ؟ لا .. لا يا نعامة
ثأر أبيك يناديك من ظلمات القبر
فامض فى سبيلك لا ترجعى من نصف الطريق .
ها قد طفل الصيد يسعى به حتفه للشرَك
فدعيه يرد حوضه آمنا ، حتى

يقضى الله فى شأنه أمرا .
يا ضعف المرأة عنى إليك . اقس يا قلبى
كن كالصخر ، إن الرحمة فى قسوتك .
ألهمينى الحيلة أيتها اللحية المخضوبة
بالدم . ويح أبى ويحه لن يعود إلىّ.
(**ينصرف الغلام ويعود سرحان**) .

سرحان : إن مولاى يدعونى يا نعامة .. كيف وأين أراك ؟

نعامة : هل ترغب فى رؤيتى بعد يا سرحان ؟
ألست ترى الخير أن لا ترانى بعد الآن ؟

سرحان : فيم يا نعم .. أنّى لى الصبر عن رؤيتك ؟

نعامة : قد يريب القوم مجيئى هنا فأعود عليك
بضر يا سرحان .

سرحان : لا تخافى من سوء يا نعام ، دعى لى هذا الأمر ،
عدينى متى ترجعين ؟

نعامة : لن أعود إليك على هيئتى هذه أبدا .
لكن ما رأيك يا سرحان لو أنى ارتديت
ثياب أخى واختلفت إليك اختلاف الصديق ؟

سرحان : لله أبوك . لهذا رأى جميل .
كيف اهتديت إليه . بورك فيك .

نعامة : حبى لك ألهمنيه يا سرحان .

سرحان : بل رضا الله عنى ونجمى السعيد .

أخبريني بأى اسم ندعوك ؟

نعامة : اختر لى أيا تحب من الأسماء .

سرحان : ما رأيك فى نعمان ؟

نعامة : جميل يا سرحان .

سرحان : متى تأتينا يا نعمان ؟

نعامة : غدا إن شئت .

سرحان : ستراني هنا فى انتظارك .

(تمد يدها إليه) .

الوداع صديقى العزيز .

سرحان : **(يصافحها)** إلى الملتقى يا صديق الروح .

(تنصرف نعامة)

أى يوم سعيد هذا اليوم

ما رأت عينى كاليوم جمالا ولطفا .

حمدا لك يا ربّى . ماذا قدمت

فتجزيني كل هذا الجزاء ؟

ما أشبه هذا الذى كان بالأحلام .

(تسمع جلبة من يمين المسرح)

ويلتاه . أهذا حين استيقظت من حلمى .

(يلتفت إلى جهة الجلبة)

هذا مولاى وقواده قادمين .

كان أجدر بى أن لا أستأخر عنه .

(يدخل إبراهيم وخلفه الكولونل سيف وإسماعيل باشا وجماعة من قواده ورجاله) .

إبراهيم : سرحان هنا . ما تصنع ؟

سرحان : مولاى فى خدمتك .

إبراهيم : **(يلتفت إلى سيف) .**

حسنا . انظر يا سيف ألست ترى أن هذه النقطة
صالحة لنهاجم سور المدينة منها ؟

سيف : حقا مولاى فهذا أقصر خط إلى
كبرى الفتحات الثلاث التى أحدثتها
مدافعنا فى السور . ولكن أرى أنه
لم يحن بعد وقت الهجوم .

إبراهيم : لم يحن بعد وقت الهجوم . أنبقى إذن نصف عام
آخر حتى نفتح عكاء ؟ لا يا سيف .

سيف : ستستلم يا مولاى بدون عناء حين
يطول عليها الحصار وينفد فيها القوت .

إبراهيم : ما أحسب هذى بالمدينة ينفد منها القوت
ولو حاصرناها عاما كاملا .. لا .. لا ..
لن أصبر يا سيف أطول مما صبرت .

سيف : لا تجازف يا مولاى بنفسك . إن المدينة
أمنع من أن يغير عليها الجيش .
وإنّ مدافعها سوف تحصده حصادا

واذكر أنها أعيت من قبل صرامة نابليون .

إبراهيم : (**يجرد سيفه غاضبا**) .

دعني من نابليون فإني إبراهيم ..

سيف : لا تغضب عليّ فما هو إلا الرأى الذى

عودت عليه رجالك يا مولاى ، وإنى

بعد لعبد مطيع لك .

إبراهيم : سيعاودنا الأتراك بأكبر جيش لديهم

ولن يجدوا قولى حينئذ شطرين .

(**يلتفت إلى رجاله**) .

يا أبطال الوادى يا رجال الموت . أما

فيكم من يبايع إبراهيم على الموت ؟

إن صوت النصر ينادينا من أفواه تلك الثُّغَر .

من يسمعه ؟ من يلبيه منكم ؟

سرحان : أنا مولاى ؟

إبراهيم : (**يصافحه**) بورك فى ابنك يا غالية .

إسماعيل : أنا يا عم .

إبراهيم : (**يعانقه**) بورك يا ابن أخى فيك .

أحمد المنبكلى : أنا مولاى .

إبراهيم : بورك فيكم يا أبطال .

اذهبوا فاختاروا أشجع فرسانكم

وسيحملنى فرسى بينكم . والله معى .

الجميع : الله ونحن معك .

إبراهيم : واحمنا يا سيف بنيرانكم من حفافينا
رويثما ننسف الأسوار ونقحمها فاتحين .

سيف : سمعا مولاى .. لترعك عين الله .

إبراهيم : (**يضرب على صدر سيف**)
عشت يا سيف ، أنت الآن زميلى القديم .

سيف : عبدك الدهر يا مولاى .

إبراهيم : لن تعجزنى عكاء وأنت معى .
يا أبطال وادى النيل انظروا فى السماء
لن تغرب هذه الشمس المنيرة حتى
نفتح تلك التى ارتد عنها نابليون .
إن الله لا يرضى أن تفتح هذى البلاد
لغير العرب .

(**يمشى إبراهيم إلى جهة اليمين وخلفه إسماعيل وسرحان وسائر القواد بينما يسدل الستار**) .

(ستار)

المنظر الرابع

(فى مدينة عكاء — فى أحد قصور عبد الله واليها الذى اتخذه إبراهيم باشا مسكنا له أثناء مقامه بالمدينة . يرى جانب من السور المحيط بالقصر . ويرى جزء من رواق القصر . ويقع على يمينه الجانب الذى فيه غرفة نوم إبراهيم .. يفصله عن الرواق دهليز صغير به شباك يطل على الرواق) .

(تظهر نعامة وتامر وزيد وثلاثة آخرون من أبناء عمومة تامر خلف السور أمام الباب الخلفى الصغير الذى أعطى سرحان لنعامة مفتاحه ليسهل عليها زيارته ليلا) .

نعامة : أمهلنى بضعة أيام أخرى . حتى
يزداد وثوقا بى سرحان وإبراهيم
فأنجح فى عملى .

تامر : ويل لك يا فاجرة !
أتدبريننا يوما بعد يوم عن عملك ؟
قد عرفناك يالخناء سباك هوى سرحان
فأنساك ثأر أبيك .

نعامة : لا والله لم أنس ثأر أبى . إنما
أتريث من أجل ثأر أبى .

تامر : ما تنتظرين ؟ أتبغين أكثر من أن تبيتى
على بضع خطوات من مرقد إبراهيم .
هل تنتظرين القاتل حتى يجىء إليك
بخنجره ويقول خذى هذا فاذبحينى .

نعامة : أمهلنى يومين أيضا يا تامر .

تامر : كلا والله لئن لم تقضى الليلة ،
هذه الليلة حاجتنا ، لتجدى فى الدنيا
مجنونا يقتل بنت أبيه وأمه .

نعامة : لا تقل هذا ، لا تسمعه ويلك من فيك الأقدار .

تامر : إن أصبح إبراهيم غدا فدعيها تسمعه من فمى :
يا نعامة يا بنت فهد القتيل الذبيح
أيرضيك أن تبقى أشلاء أبيك
ملقاةً فى بطن الثرى . تشكو
من حر الصدى ، وتململ من حرقات الجوى ،
لتبيتى أنت وسرحان فى أحضان الهوى
بين بيض المنى فى سواد الدجى ؟
يا لعار القبيلة يا لثأر بنى النعمان .

نعامة : أمسك يا تامر . حسبك حسبك . أغمدت
خنجرك المسموم بصدر فتاة موتورة .

تامر : بل أطوت الرماد عن النار فى نفس مسعورة .
الآن خذى هذا المسحوق ، فذوبيه
فى قهوة سرحان حتى ينوء النعاس بجفنيه
ويميل به أرضا فتقومى حينئذ
للأخذ بثأر أبيك .
(يناولها كيس المسحوق)
فإذا أثبتِّ القاتل فانطلقى نحونا
جانب السور الشرقى على أهبة للفرار ،
ومن خلفنا أبناء عمومتنا يحمون الطريق .
هل عندك خنجرك المسموم ؟

نعامة : أجل هو ذا عندى .
(تخرج الخنجر من بين ثيابها وتريه إياه)

تامر : (**يعانقها**) بارك الله فيك . امضى يا أخت امضى
واشجعى واذكرى أنك ابنة فهد .

نعامة : ثق بأختك يا تامر .
(تفتح باب السور الصغير فتدخل ، وينصرف تامر ورجاله) .
(ترقى نعامة الدرج حتى تظهر على الرواق ــ يسقط الخنجر من ثيابها ويقع على الأرض فتلتقطه مضطربة) .
ويلى ! ما أشأم هذا الفأل !
أتراه يسقط من كفى فى حضرة إبراهيم ؟

(تتجه إلى يمين الرواق حتى تتوارى برهة عن النظارة ثم تعود ومعها سرحان) .

نعامة : قد نام سيدنا الباشا ؟

سرحان : نام قبل الآن بوقت طويل يا روحى
فيم تضطربين حبيبة قلبى ؟ وفيم الليلة
هذا الوجوم ؟ أتشكين من بأس ؟

نعامة : لا يا سرحان .

سرحان : أتخشين من مخلوق يسمعنا ؟

نعامة : إى والله يا سرحان .

سرحان : اطمئنى يا روحى .. ما من مخلوق يسمعنا .
إنى قد صرفت الناس جميعا ، سوى خل
واحد لا بأس به أن يسمع نجوانا .
هل تدرين من هو ؟

نعامة : لا .. كيف يسمع نجوانا ؟

سرحان : إنه طالما كان يسمع نجوانا .

نعامة : تبا ! كيف لم تخبرنى بهذا من قبل يا سرحان ؟

سرحان : يا حياتى لا تغضبى .. إنه نعمان .

نعامة : ويل لك يا سرحان لقد روعت فؤادى .

سرحان : أبعدى عنا نعمان الآن لئلا يسمع نجوانا .

(يفتح الحقيبة التى معها ويخرج منها حلتها فيخلعها عليها ويلبسها العقد المرجانى) .

ها قد ذهب الواشى أاطمأن الآن فؤادك ؟

نعامة : اطمأن الآن .

(يأخذ بيدها فيقعدان على مقعد طويل) .

سرحان : **(يشير إلى صدره)**

لكن أخاه هنا قلق ما له اطمئنان .

نعامة : لماذا يا سرحان ؟

سرحان : لأن نعامة لا تطمئن إليه .

نعامة : ماذا تبغى منى ؟

سرحان : عربون الحب .

نعامة : وما عربون الحب ؟

سرحان : عناق الروح للروح .

نعامة : وأين هما الروحان ؟

سرحان : **(يشير إلى مبسمه ومبسمها)**

هنا وهنا .

سرحان : **(يقبلها)** كذا .

نعامة : ويلك ! كيف جرؤت على هذا ؟

قد تعديت طورك يا سرحان .

سرحان : بل تعدى حبك فى قلبى طوره .

كل شيء له أطوار سيبلغ آخرها يوما .

إن الحب يبذر فى العينين ، وينبت فى

أحناء القلب ، ويزهر بين الشفاه .

فعلام على حبى سنة الكون يا روحى تأبين ؟

أتحبينني يا نعامة ؟ قولى أحبك يا سرحان .

نعامة : ماذا يعنى هذا القول يا سرحان ؟ ألم
تأخذ منى عربون الحب ؟

سرحان : بلى . قد أعطيتنى عربون الحب . بلى
قد لثمت فمى ، فاشهدى يا نجوم السماء
بأن نعامة قد قبلت ثغرى .

نعامة : كذاب أنت . ألست الذى قبلت فمى ،
وأخذت على كره منى ما سميته عربون الحب ؟
أنا قبّلت يا كذاب ؟

سرحان : كلا ما قبلتنى . بلى روحك قد عانقت روحى .

نعامة : روحى عانقت روحك ؟

سرحان : لا ، لا تغضبى . بل روحى التى عانقت روحك .

نعامة : أنسيت الليلة قهوتك النجدية يا سرحان ،
ألا تأتينا بعدّتها كى نحسوها فى هذا الليل الجميل ؟
ها جئت إليك بمسحوق من أجود بن اليمن .
(**تخرج له كيس البن**)

سرحان : (**يأخذ الكيس**) ما أجمل هذه الهدية ! بورك فيك
سأجيئك بالأدوات فنصنعها قهوة فاخرة .
(**يذهب سرحان إلى جهة اليمين**)

نعامة : يا للقلب المضطرب !
هذى ساعة والله رهيبة ،

لكأنى بنفسى التى بين جنبىّ تبرأ منى .
كيف أقتل إبراهيم ؟ أأقتله
وهو منقذ قومى العرب ؟
وحبيبى سرحان ؟ كيف أحمله
تبعات اغتيالى وغدرى ؟
ما عساه يقول إذا وقع الأمر المحذور ؟
أأفجعه فى مولاه إبراهيم وفى حبى ؟
كيف أفجعه فى بيض أمانيه فى استقلال
بلاد الضاد وتحريرها من عبودية الأتراك ؟
لكن كيف أترك قاتل شيخى يعيش ؟
آه ! قد يخاف المرء الشيء ، فتدفعه الأقدار
إليه معصوب العينين ؟ وما الأقدار
سوى الأصداء التى تتردد فى جنبات النفس .

(يعود سرحان حاملا معه أدوات القهوة وبساطا يفرشه على الأرض فيقعدان عليه . يوقد الفحم فى كانون صغير ويغلى الماء عليه) .

سرحان : شد ما يا نعم يذكرنى هذا نجدا
حيث كنا نخرج فى القمراء إلى البطحاء
ونسمر تحت النجوم على ود وصفاء .

نعامة : إيه حدثنا عن نجد وأيام نجد يا سرحان .

سرحان : حيث كنا نغنى أغانينا البدوية . نرسلها
كالحداءة ترددها الصحراء وتصغى لها

آذان الفضاء .
حيث كنا نفترش البطحاء وقد بردت
حبات الرمل بها إلا ما يرسله جوفها
من دفء شهي يحدث عن أشواق ذكاء ،
مثلما بردت حبات العقد على جيد الحسناء
لدى الأسحار ، سوى ما يرسله نحوها
من دفء شهي يترجم عن أشواق السماء .

نعامة : ماذا ؟ ألتف ذراعك هذا قط على
جيد حسناء يا سرحان ؟

سرحان : لا وفتنة عينيك يا نعم ما التف هذا الساعد
إلا على هندوانيّ أو عرف جواد .

نعامة : فما تشبيهك هذا الناطق يا سرحان ؟

سرحان : نعامة . ما هذا إلا من أحلام الشعراء
يقولون فى شعرهم ما لا يفعلون .

نعامة : أوَما تعرف الصدق فى تشبيهك يا سرحان ؟

سرحان : فى وسعك وحدك أن تجعلى تشبيهى يا نعم صدقا .

نعامة : كيف أجعله صدقا .

سرحان : ائذنى لذراعى أن يلتف على عقدك .

نعامة : **(تخلع عقدها من جيدها ضاحكة)**
خذه يا سرحان فلف عليه ذراعك إن شئت .

سرحان : **(يأخذ العقد فيلفه على ذراعه)**

هذى جبات الرمل على زندى برد وسلام .
ولكن أين الدفء الشهى الذى
يتنسم من جوف البطحاء
لن يصدق تشبيهى حتى يلتف ذراعى
على هذا العقد فى جيدك .

نعامة : كيف يصدق تشبيهك ؟

سرحان : (**يطوق جيدها بذراعه**) هكذا .

نعامة : غننى يا سرحان . ألا يا صبا نجد !
أغنيتك البدوية هذى تعجبنى .

سرحان : أخشى أن أوقظ مولاى إبراهيم .

نعامة : صدقت ولكن نسنس بها واخفض صوتك .

(تضع البن والهيل فى الإبريق وتصب عليه الماء المغلى وتملأ كوبين تقدم أحدهما لسرحان .

سرحان : سمعا يا حياة الفؤاد .

(يشرب القهوة ويبدأ فى الدندنة ثم يغنى)

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
لقد زادنى مرآك وجدا على وجد
أإن هتفت ورقاء فى رونق الضحى
على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكى الوليد ولم تكن
صبورا وأبديت الذى لم تكن تبدى

وقد زعموا أن الحب إذا دنا
يمل وأن النأى يشفى من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا
على أن قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع
إذا كان من تهواه ليس بذى ود

نعامة : ما أشجى صوتك يا سرحان !
عن أيضا : قفا ودعا نجدا .

سرحان : قبلينى أولا يا نعم .

نعامة : خذ ما شئت يا سرحان .

سرحان : (**يقبلها ثم يغنى**)

قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى
وقولا لنجد عندنا أن يودعا
بنفسى تلك الأرض ما أطيب الربا
وما أحسن المصطاف والمتربعا
وليست عشيات الحمى برواجع
عليك ولكن خل عينيك تدمعا
ولما رأيت البشر أعرض دوننا
وحالت بنات الشوق يهيمن نزعا
بكت عينى اليسرى فلما زجرتها
عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى
وجعت من الإصغاء قليا وأخدعا
وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى
على كبدى من خشية أن تصدعا

(تملأ نعامة كوب سرحان ثانية وتضع فيه المرقد خلسة وتذوبه فيه ثم تقدمه إليه ويشربه سرحان بينما هو يغنى فيلعب به النعاس ويضمحل صوته شيئا فشيئا حتى لا يقوى على القعود فتسنده نعامة ثم تنيمه على حجرها وينقطع الغناء من فيه) .

نعامة : ها هو الآن نام حبيبى الشجاع .
قومى يا نعامة قومى لثأر أبيك.
(**تحركه**) سرحان . سرحان .
(**لا يجيب**) يا له من سبات عميق
قومى يا نعامة قومى لثأر أبيك .

زيد : (**يرقب من فوق السور**)
نام الملعون . سأقتله الليلة .

نعامة : (**تضع رأسه على وسادة بجانبها وتنهض . تتلفت يمينا وشمالا**) .
كيف أقتل إبراهيم ؟ أأقتله وهو منقذ قومى العرب ؟
يا للجرم الأكبر ! يا لجرم الأبد !
وحبيبى سرحان ، هذا الشفيع الجميل ألا

أصغى لشفاعته فى مولاه عندى ؟
هو يهوانى حقا .. هو يحسبنى أهواه .
أجل أهواه ، ولا أهوى مخلوقا سواه .
فكيف أخون حبيبى فى أغلى شىء عنده ؟
طالما قال لى إنه سوف يبنى بى حين يعتق
إبراهيم بلاد العروبة من سلطان الدخيل .
أفأقتله من أجل أب قد طواه الثرى
واستحال عظاما رميما ؟
(**يبدو لها شبح أبيها**) .
ماذا قِبَلى . من هذا ؟ هذا أبى . كيف قام
من القبر ؟ لا يا أبى لا تخفنى بوجهك هذا الهزيل ،
وشعرك ذا الأرجوانى يقطر منه الدم .

زيد : (**من على السور**) لا أرى أحدا معها .. من تخاطبه يا ترى ؟

الشيخ : أتخاف ابنتى منى ؟ ويلى ! أنت سببت لى
هذا يا إبراهيم .
إياك نعامة أن تنسى ثأرى .
(**يكشف عن صدره**) انظرى الطعنة فى صدرى .
هٰهنا طعنونى هنا .
مزقوا منى الأحشاء فسالت تدلى على ساقى .
ولحلقى انظرى : هٰهنا ذبحونى . هنا قطعوا

منى الأوداج . فأنشأ يخفق رأسى على كتفى .

نعامة : يا لهول المنظر ! يا لفظاعته !

الشيخ : هيا أعدى الخنجر ، هيا امشى للقاتل ، هيا اتبعينى .

نعامة : (**تلتفت إلى سرحان**)

وداعا يا سرحان إلى أبد الآبدين !

(**تسل خنجرها ويتقدم الشيخ فتتبعه حتى يتواريا عن الأنظار**) .

(**يتسلق زيد السور ويقفز إلى الداخل**) .

زيد : (**يتقدم إلى جهة سرحان**)

هذا والله جميل . نعامة تقتل إبراهيم

وزيد يقتل سرحان .

(**يسل خنجره**) هل أطعنه بالخنجر ؟ لا . ربما يصحو

فيطوقنى بيديه . ولكن سأطعنه

بالرمح ، ليعصمنى منه طوله .

نعامة : (**تبدو من شباك فى الدهليز الموصل إلى مرقد إبراهيم تسمع الحركة فتطل فترى زيدا يحاول قتل سرحان**)

سرحان انتبه سرحان .

(**لزيد**) تبا لك . تقتله نائما يا جبان ؟

(**يغمد زيد خنجره ويقبض على رمحه بيمينه ويهم بطعن سرحان**) .

نعامة : سرحان ، انتبه سرحان .

(يرتاع زيد فتصيب طعنته يد سرحان اليسرى فيهب كالأسد) .

سرحان : ويل لك ! من أنت يا هذا ؟

زيد : **(يسدد الرمح إليه ليطعنه فى صدره)**

خذها يا تعيس الحظ .

سرحان : **(يميل عن الطعنة ويهجم بخنجره على زيد فيلقيه على الأرض صريعا)**

بل خذ هذه يا قصير العمر .

(يظهر إبراهيم وراء نعامة فى الشباك) .

إبراهيم : ماذا تصنعين هنا يا فتاة ؟

نعامة : (**تلتفت**) ها أنت غريمى جئت فذق هذا الخنجر المسموم .

(تهجم عليه بخنجرها فيتلقى الطعنة بالقبض على يدها) .

إبراهيم : ويل لك من أنت ؟ كيف أتيت هنا ؟

(يجرها إبراهيم معه إلى الرواق) .

ما هذا يا سرحان ؟

كيف جاءت هذه الفتاة إلى مخدعى

كى تقتلنى ؟ أين يا حارسى كنت ؟

سرحان : يا ويل أبى ! ما أرى ؟ أنعامة هذى ؟

أتنوى نعامة هذا الجرم العظيم ؟

أجننت نعامة ؟ كيف جرؤت على هذا ؟

إبراهيم : **(ينظر إلى زيد)**

من هذا الفتى المطعون ؟

سرحان : لا أعرف من هو يا مولاى . لقد جاء يقصد قتلى

زيد : أنا زيد من أنصارك يا مولاى . أتيت

لأحبط هذا التآمر من سرحان وهذى الفتاة

عليك ليغتالاك ، فحاميت عنك

فعاجلنى الملعون بخنجره فهويت صريعا ،

ولكنى سأموت سعيدا لأنك حى بعد .

سرحان : **(يهم بضربه)** ويل لك يا أكذب الجبناء .

إبراهيم : لا تمسه يا سرحان .

زيد : إنه يروم قتلى ليخفى هذا السر عليك .

إبراهيم : ما قولك يا سرحان ؟

سرحان : لا أحسب مولاى إبراهيم يصدق شيئا من هذا .

إبراهيم : بيّن لى إذن . من هذه الفتاة وكيف أذنت

لها أن تصير إلى مخدعى والخنجر فى يدها .

سرحان : هى جارية كنت أهواها . لم يجر على

بالى أنها ستحاول يوما هذا الجرم الكبير .

إبراهيم : أاتخذت مكانى ميدانا لحماقاتك ؟

سرحان : أنا معترف بالخطيئة يا مولاى

فأوقع بى من عقابك ما أستحق .

آه لو علمت أمى بحماقاتى .

نعامة : لا تعاتبه مولاى فهو برىء وإنى أنا المذنبة .
أنا جئت إليه فأوقعته فى هواى .
لأنفذ منه إليك فأدرك ثأر أبى منك .

إبراهيم : منى أنا يا هذى ؟ من يكون أبوك ؟

نعامة : فهد النعسان .

إبراهيم : **(يلتفت إلى سرحان)**
فهد النعسان . أتأتى ابنته عندى .

نعامة : كان لا يدرى أنى ابنة فهد يا مولاى .

زيد : لا تصدقها إنها تهواه وتبغى تبرئته

نعامة : اسكت يا وغد .

زيد : ويل لك يا فاجرة .

(يقفز من على السور ثلاثة من رجال تامر ويهجمون على إبراهيم ويحيطون به) .

إبراهيم : ويلكم . ما جاء بكم ؟

أحد الثلاثة : أجلك .

سرحان : **(يهجم عليه فيصرعه على الأرض)**
بل آجالكم حانت .
(تتعلق نعامة بعنق الثانى)

الثانى : خلى عنى يا لكاع

(يهوى الثالث بسيفه على إبراهيم فيحيص عنه إبراهيم

بأعجوبة ويلكمه على وجهه بجمع يده فيخر صريعا ، ويذهب ناحية زيد ليأخذ حربته ، فإذا زيد يحاول طعنه ، فيركله إبراهيم برجله فيقضى عليه ويأخذ منه حربته فيطعن الصريع)

سرحان : **(ينتزع سلاح خصمه ويضربه به)**

خذه من يد عزرائيل .

(يدلف هو وإبراهيم للذى تعلقت به نعامة) .

إبراهيم : دعه لا تقتله يا سرحان سنعلم ما أمره .

(يحل عمامته ويكتفه بها ويرمى به على الأرض)

بارك الله فيك وفى حسنائك يا سرحان !

سرحان : نحن خدامك الدهر يا مولانا العظيم .

نعامة : حمد لله الذى نجاك ونجى بك
مولاى ، لقد أمسيت أحب الناس إلى
قلبى ، واحتسبت حياة أبى فى سبيل حياة العرب .
طالما كان سرحان يذكر لى آمالك فى
توحيد العرب ، وإحياء سؤددها العافى
حتى كاد ينهض أن شيخى من قتلاك
ولولا أن أخى قد توعدنى بالموت
إذا لم أنفذ مشيئته ما بسطت إليك
يدى لاغتيالك .

إبراهيم : اصدقينى : أما جئت قط هنا قبل الليلة ؟

نعامة : قد جئت كثيرا يا مولاى نهارا وليلا .

إبراهيم : عجبا كيف لم أبصرك ولم أسمع عنك شيئا .

نعامة : بل كنت ترانى يا مولاى وتعرفنى .

إبراهيم : (**يتفرس فى وجهها**) نعمان ! صديقك يا سرحان .

نعامة : (**تخلع عنها الحلة فتبدو بملابس الرجل**)
أجل أنا نعمان يا مولاى .

إبراهيم : (**يضحك**) ويل لكما ! ما أعجب أمركما عاشقين !
ما تظناننى صانعا بكما ؟

سرحان : إن تعاقب فعـــدل منك ، وإن
تعف عنا فأنت لذلك أهل .

إبراهيم : لا ، بل أعفو عنكما . وأؤمل أن لا
يكون اليوم الذى فيه تقترنان بعيدا .

سرحان : شكرا لك يا مولاى . سنجعله يوم تطرد
آخر مغتصب عن آخر شبر من الوطن العربى .

إبراهيم : مرحى مرحى ! ذاك يوم غير بعيد .

(**ستار**)

المنظر الخامس

(فى سهل قونيا فى اليوم الثانى لمعركة قونيا التى انتصر فيها إبراهيم انتصارا حاسما على الأتراك — جانب من المعسكر المصرى ، يظهر فيه على يسار المسرح جانب من خيمة إبراهيم باشا يشتمل على بهو استقبال كبير وغرفة نوم يفصلها عن البهو باب واسع . يظهر سرحان فى الزاوية اليمنى من المسرح خارج الخيمة) .

سرحان : أقبلى أقبلى يا نعامة .. وا شوقاه إليك !

(تدخل نعامة فيعانقها)

الآن سنوفى المنى حقها غير منقوص

شيئا .. الآن سنعطى الهوى ما يريد .

هذا يوم نعتق من ذلها أوطان العرب

هذا يوم يرجع من مجدنا ما ذهب

هذا يوم بسام الثنايا . وضىء الشنب

فجره لؤلؤ والضحى فضة والأصيل ذهب .

نعامة : بعض هذى الفرحة يا سرحان . فمن يدرى

ماذا تضمر الأقدار لنا فى هذا اليوم ؟

سرحان : ماذا يا نعم ؟ تشاءمين بيوم يزهر بالأمان ؟
نعامة : سرحان ، أما رأيت أخى تامر فى المعسكر هذا الصباح ؟
سرحان : ما تخافين منه ؟
نعامة : أخاف أذاء على مولانا إبراهيم
بالغ فى حراسة مولاك يا سرحان . ولا
تأخذ عينيك سنة .
سرحان : إلا أن تذوِّبى لى مرقدا يا نعم .
نعامة : لا تمزح يا سرحان . فات أوان المزاح .
سرحان : لكنى استأذنت من مولاى لأجرى فى
أثر القائد التركى لعلى أمسكه
فأجىء به مولاى أسيرا .
نعامة : ما شأنك والقائد التركى ؟ أليس حراسة
مولاك أوجب من هذا وأهم ؟
سرحان : إن إبراهيم ليعصمه ربه حتى
يكمل استقلال بلاد العرب .
نعامة : بالله عليك أطعنى يا سرحان .
سرحان : أنى فى طاعتك الدهر يا دنياى .
نعامة : فدع عنك أمر القائد وابق هنا .
سرحان : غير هذا اطلبى .. ليس لى أن أرجع عن عزمى .
نعامة : أنا خائفة يا سرحان أيضا عليك .
سرحان : علىّ أنا ؟ ممن ؟ من أخيك ؟ اطمئنى على سرحان .
الوداع هبينى يا روحى قبلة

أتزود بها حتى ألقاك .

(**يقبلها**)

نعامة : يرعاك الله .

سرحان : اللهم آمين . (**يخرج**) .

نعامة : ما أقوى عزمك يا سرحان ! لقد زادنى عصيانك إياى حبا لك .

(**يدخل تامر وخالد متنكرين . تستخفى نعامة**)

تامر : لن يفلت منى إبراهيم اليوم .
سأقتله فى أوج انتصاره .

خالد : إنه لانتصار عظيم لإبراهيم أدال
به للعرب من الأتراك وولاهم
فى الإدارة والجيش الرتب الكبرى ،
بعد ذاك الغبن الطويل على العهد التركى .

تامر : حق ما تقول ، فلا شك فى أن إبراهيم
هو المنقذ المأمول ليخلصنا من ظلم الترك .
ولو أبصرتنى أمس إذ كنت أرقب غرة إبراهيم
لأقتله لرأيت عجبا ، حين اندفعت
إلى المعمعان بلا وعى منى كما الليث المهيج ،
أقاتل أعداءنا فى صفوف المصريين .

خالد : أجل قد رأيتك أمس كأنك من جند إبراهيم .

تامر : كيف أبصرتنى ؟ أين كنت آوانئذ ؟

خالد : كنت خلفك غير بعيد منك . وقد كان منى
ما كان منك ، فلم أملك إذ التحم الجيشان
وأبصرت قلة جيش العرب وكثرة أعدائهم أن خضت
الوغى فى صفوف المصريين ،
فطابت نفسى حينئذ واطمأنت كأنى
كنت أخا ذنب يقظان الضمير فتبت .
تامر : عجبا ! هذا ما شعرت به أيضا إذ ذاك
ولكن ما شأن هذا وشأنى ؟ لا شأن لى
إلا بأبى . والذى أودى بأبى هو إبراهيم
فلا بد لى أن أثأر منه
(**يتلفتان حوليهما فتتوارى نعامة**)
أعلى استعداد أنت لتلقى الموت انتقاما
لعمك فهد يا خالد ؟
خالد : ما سؤالك ذا يا تامر ؟ هل لسوى هذا جئنا ؟
تامر : هيا فلنرصد خيمة إبراهيم إذن . .
فنهاجمه حين يخرج من خلفه وأمامه (**يختفيان**)
نعامة : (**على حدة**) ويل لهما عازمان على الفتك به .
يا ليتك يا سرحان بقيت هنا .
سأقول لمولاى إبراهيم ليأخذ حذره . (**تخرج**)
(**يدخل إبراهيم والكولونل سيف إلى بهو الخيمة**) .
سيف : سرِّ عنك همومك يا مولاى ،

فسوف تسير الأمور على ما تريد .

إبراهيم : ما شأن ذئاب المغرب بنا تتداخل فيما
ليس بحق لها من شئون الشرق ؟
ليت شعرى متى يأتى يوم يعرفون به
أنهم ليسوا أوصياء علينا ، وأنا لسنا
بأطفال قصرّ .

سيف : إنهم أوجسوا منكم خيفة إذ رأوكم
تقيمون هذا الشعب العظيم بعدته ،
والمجيد بتاريخه ، من هوان طال به ،
تحت كلكل هذا الشيخ المريض .

إبراهيم : الشيخ المريض أحب لهم من شعب فتى
يحيط أطماعهم فى الشرق .
آه ليت كتاب أبى لم يصلنى إلا على
باب اسطنبول ، فما دونها من هنا
غير ستة أيام فى سهل لا وعر فيه .

سيف : هبه لمّا يأتك يا مولاى .

إبراهيم : أتدعونى يا سيف لأعصى مولاى الوالى ؟

سيف : لا وعيشك يا مولاى ، ولكنها فرصة
ربما لا تتاح غدا مثلها لاجتثاب الفرحة
من أصلها حتى لا تعل الجسم الذى
قد شفاه الله بطب يديك .

لن تأمن مصر على نفسها أو على أوطان العروبة ،
ما دام ذاك الصل باسطنبول يرى
أن من حقه أن ينفث فى الوطن العربى سمومه .

إبراهيم : وذئاب الغرب ؟

سيف : سيجعلها الأمر المقدور تبصيص للأسد المصرى
بأذنابها حينما يستوى فوق عرش الشيخ المريض .

إبراهيم : لكن كتاب أبى يقتضى أن لا أتقدم
من بعد كوننا هنا قيد شبر ، ولن أفتات
عليه ولو زويت لى أقطار الدنيا .

سيف : ما الرأى إذن ؟

إبراهيم : أن تنتظر الرد من سيدى الوالى
فى اقتراح مواصلة الزحف حتى اسطنبول .

سيف : ستضيع عليك الفرصة يا مولاى إذا نجحت
دول الغرب فى دفع الوالى لقبول الصلح .

إبراهيم : لأبى الرأى الأعلى ، وله الأمر فى كل حال .
(يدخل إسماعيل باشا)
ما وراءك يا إسماعيل ؟

إسماعيل : لقد طاردت فلول العدو وشردتهم
فى تخوم الأرض ، فسالت مئات منهم على
أطراف الرماح وباد كثير بالأمراض
وطرح بالباقين عنياها فى أيدى العربان والأكراد .

إبراهيم : أبليت وغامرت يا ابن أخى .

إسماعيل : منك عم تعلمت هذا الغمار .

إبراهيم : صدقت فنصف النجاح الغمار . وما أدرك المجد ذو إحجام . وإن الموت لفى يد من إيحاك .
أوَلم تظفروا برشيد قائدهم ؟

إسماعيل : لا والله يا عم لا ندرى كيف ابتلعته الأرض .

إبراهيم : ستلفظه يا بنى لنا يوما .
(**ينهض**) أشتهى أن أنام قليلا . تعبت من استقبال وفود التهانى من كل صقع بعيد .
(**يدخل المخدع**) .

إسماعيل : هل حدثكم عمى عن أمر أبيه بوقف الزحف ؟

سيف : نعم يا سمو الأمير .

إسماعيل : وما عزمه ؟

سيف : أن يطيع أباه .

إسماعيل : عزيز والله هذا علينا وما دون اسطنبول سوى أيام معدودة .

سيف : ربما كان فى هذا يا أميرى خير .

إسماعيل : آه لو تدرى كم تشتاق نفسى إلى فتح اسطنبول .

سيف : كل شىء رهين بأوانه يا سمو الأمير .
(**يدخل الحاجب**) .

الحاجب : بالباب فتى يتظلم من أحد الجند .

يرجو مقابلة الباشا .

إسماعيل : دعه يرجع بعد قليل فالباشا الآن نائم .

سيف : بل أشعره الآن يا مولاى فقد أمر الباشا أن لا نتأخر فى رفع أى شكوى إليه فى أى حين .

إسماعيل : ولو كان فى نومه يا سيف .

سيف : ولو كان فى نومه .

إسماعيل : (**ينهض**) حسنا ! سأنبهه .

(يقرع الباب قرعا لطيفا) .

صوت إبراهيم : من هذا ؟

إسماعيل : إسماعيـــــل .

صوت إبراهيم : ادخل يا بنى .

(يدخل إسماعيل الغرفة)

(ثم يخرج إبراهيم وإسماعيل)

إبراهيم : ادخل بالفتى يا غلام .

الحاجب : سمعا مولاى ! (**يخرج**) .

(يعود الحاجب ومعه الفتى) .

إبراهيم : ممن تتظلم يا عبد الله .

الفتى : مولاى . من جندى مدين لى بمجيدين . أتيت أطالبه فاعتدى بالضرب علىّ .

إبراهيم : ما اسمه ؟

الفتى : لا أعرف يا مولاى .

إبراهيم : أتعرف موضعه فى المعسكر ؟

الفتى : أعرف يا مولاى .

إبراهيم : هلم إذن أرنيه .

واحر فؤادى من هؤلاء الجنود !

ألم يعلموا بعد أنا ما جئنا فاتحين

لهذى البلاد ولكنا جئنا منقذين ؟

(لإسماعيل وسيف)

اذهبا فاخطبا فى جموع الجيش بأن

يلزموا الاستقامة والحسنى فى هذى البلاد .

فعار بنا أن نكون كمن أجليناهم

عنها بالسيوف من القوم الظالمين .

إسماعيل وسيف : سمعا مولاى **(يخرجان)** .

إبراهيم : هيا يا فتى أرنى الجندى .

(يخرج هو والفتى إلى خارج الخيمة)

امش قدامى .

(ما يكاد إبراهيم يمشى حتى يظهر خالد من قدامه وتامر من خلفه)

ويل لك ما تبغى يا ابن الفاعلة ؟

(يهم خالد بطعن إبراهيم فيسبقه إبراهيم ويدفعه فى صدره دفعة ألقته على الأرض بعيدا وجاء تامر من خلفه

ليطعنه فتعلق به فارس وتشبث بعنقه واصطرعا فوقعا على الأرض) .

الفارس : تبا يا تامر تقتل بنت أبيك وأمك ؟

تامر : أختى . ويل لك أنقذته من يدى يا لكاع .

الفارس : بل أنقذت من يمناك الأثيمة مولى العرب .

(يقبض الحرس والجند على تامر وخالد) .

إبراهيم : نعمان . نعامة . يا ويحها . فيم ألقيت فى هذا بيدك ؟

نعامة : مولاى . وهبت الحياة لهذى الفتاة
فردت إليك الهبة .
ووهبت الحياة لشعب الضاد المجيد
وإن الله سيجزيك عنه حياة الأبد .

إبراهيم : احملوها إلى غرفتى وهلموا الطبيب سريعا .

(تحمل نعامة إلى غرفة إبراهيم)

(يدخل الطبيب)

بحياتى عليك طبيبى عالج هذى الفتاة
كما لو كنت تعالجنى .

الطبيب : سمعا مولاى عسى ربى أن يوفقنى لرضاك

إبراهيم : جعل الله فى كفيك الشفاء

(يمضى الطبيب إلى الغرفة)

(يدخل سرحان ومعه القائد التركى رشيد باشا أسيرا)

سرحان : ها جئتك يا مولاى بقائد جيش العدو الطريد .

إبراهيم : بارك الله فيك !

سرحان : قد تنكر فى ثوب فلاح فدللت عليه .

إبراهيم : بارك الله فيك .

سرحان : **(يلحظ تمعر وجه إبراهيم وسهومه)**

ما بالك يا مولاى ؟ أيشكو من ألم مولاى ؟

إبراهيم : لا . وعوفيت يا سرحان !

سرحان : **(ينظر فى وجوه الحاضرين)**

ما لكم هكذا واجمون ؟

إبراهيم : تجلد يا سرحان .

سرحان : نعامة . ماذا حل بها ؟ هل جاء أخوها الوغد ؟

فهمت الأمر فهمت . لقد أنذرتنى ولكنى

لم أصغ لإنذارها . ويل أمى وويل أبى !

يا طول شقائك يا سرحان !

(ينظر إلى إبراهيم)

لكنك يا مولاى سلمت ولله الحمد

من كيد المغتال الأثيم فدمت لمجد العرب .

إبراهيم : **(يأخذ بيده ويجلسه إلى جانبه)**

تجلد يا سرحان .

(يدفن سرحان وجهه فى حجر إبراهيم ويبكى بكاء الطفل) .

سرحان : (**يرفع رأسه**) بعض هذى الفرحة يا سرحان فمن يدرى
ماذا تضمر الأقدار لنا فى هذا اليوم ؟
لقد قالت لى هذا يا مولاى صباح اليوم .
(**يضع رأسه فى حجر إبراهيم ثانيا**)

إبراهيم : (**يضرب على ظهره**) صبرا يا بنى فليس عليها من بأس إن
شاء الله .

سرحان : (**يرفع رأسه**) بحياتك قل لى أماتت يا مولاى ؟
أماتت نعامة ؟

إبراهيم : لا .. لم تمت . الطبيب يعالجها ثمَّ فى غرفتى . .
(**ينهض سرحان إلى جهة الغرفة**)

سرحان : رباه اشفها رباه .
(**يقف على باب الغرفة ليدخل**)

الحاجب : الدخول هنا ممنوع يا سيدى .

سرحان : ممنوع علىّ أنا ؟ قل لى يا صديقى أهى بخير ؟
(**يجىء إبراهيم إلى الباب**) .
ألا تستأذن لى فى الدخول جناب الطبيب .

إبراهيم : مكانك يا سرحان سأسأله إن أذن لك .
(**يقرع الباب قرعا خفيفا فيظهر الطبيب**)
كيف حال الجريحة ؟

الطبيب : مغمى عليها يا مولاى .

إبراهيم : ما بها ؟

الطبيب : انسداد فى الشريان الكبير .

إبراهيم : أيمكن هذا الفتى أن يراها ؟

الطبيب : لا يا مولاى . ليس الآن .

إبراهيم : (**يأخذ بيد سرحان إلى البهو**)
هلم معى الآن . عما قريب سيأذن لك .

سرحان : ويلى . ستموت . أريد أن أراها قبل الموت .

إبراهيم : ستراها يا سرحان بخير .

سرحان : (**يغير لهجته**) أين يا مولاى أخوها الوغد ؟

إبراهيم : هنالك فى القيد يا سرحان .

سرحان : ألم تقتلوه ؟ ألم تطعنوه ؟ ألم تجرحوه ؟
أيبقى سليما معافى وهى تموت ؟
أرونى إياه . أين هو الوغد ؟

إبراهيم : (**يشير إلى تامر فى الركن**)
ها هو ذا ..

سرحان : أهو هذا الوغد . عليك اللعنة يا قاتلا
أخته يا جبان . دعونى أقتل هذا الأثيم .

إبراهيم : لا تعجل يا سرحان سنفصل فى أمره .

تامر : اقتلنى سرحان إن شئت فهو أحب إلى
نفسى من هذا القيد المذل .

سرحان : كلا ، لا أقتله فى القيد فأجنى عار الأبد .
أنت قاتله لا محالة يا مولاى فأنشدك الله
إلا ما أطلقت الأثيم فبارزنى بالسيف .
فإن أقتله أخذت بثأرى منه

وأوردته ما استحق ، وإن تكن الأخرى
فسيكفيني غصص العيش بعد نعامة ،
ولمولاى من بعد ذلك فى أمره ما يشاء .

إبراهيم : ما يدريك أنى لا أعفو عنه يا سرحان
كعفوى عن أخته من قبل ؟

سرحان : تعفو عن قاتلها ؟ كيف يا مولاى ؟

إبراهيم : أأعفو عن قاتلى ثم لا أعفو عن قاتلها ؟
أهى أكرم منى يا سرحان ؟

سرحان : معاذ الله ، لأنت أعز وأعظم قدرا ،
لكن لك أنزل عن حقى إن أنت نزلت
له عن حقك يا مولاى . وعدلك يأبى
أن يعفى عن ذاك المسىء ويظلم هذا البرىء .
فدعنى أقتله أو يقتلنى .

إبراهيم : إننا بعد فى حاجة لبلائك يا سرحان .
أما كنت فى شوق لليوم السعيد الذى
يتحقق فيه خلاص بلاد العرب ؟

سرحان : بلى مولاى .

إبراهيم : ها نحن أولاء نشارف ذاك اليوم السعيد .

سرحان : أجل ، سأموت قرير العين بتحقيق مولاى
ذاك الرجاء ، وفى هذا ما يعزينى وكفى .

إبراهيم : نفسى لا تطوع لى أن أفقد قوة مثلك يا سرحان .

سرحان : ستجود العرب بأرواحها فى سبيلك يا
مولاى . وفيها أى غنى لك عن مثلى .

إبراهيم : كلا . لا أستغنى عن أصغر رجل
فى الجيش . وأنت وسائر أفراد الجيش ملك
لمصر وللوطن العربى الأكبر لا ملكى .
كيف أنزل عما ليس بحق لى ؟

(**يدخل حسين عبد الهادى والأمير بشير ومصطفى
أغا بربر**)

حسين ع . : السلام على مولانا الأمير .

إبراهيم : وعليكم سلام الله .
(**يصافحهم**) أهلا عبد الهادى . أهلا بالأمير بشير .
أهلا بأغا بربر .
(**يشيرهم بالقعود**) استريحوا يا خيرة الأصدقاء .

بشير : لسنا ندرى أنهنئ مولانا بالنصر الباهر ،
أم بالسلامة من كيد المغتال الأثيم ؟

حسين ع . : بل نهنئه بكلا الأمرين وباستقلال العرب .

مصطفى بربر : بل نهنئ أنفسنا بسلامة أوطاننا
فى سلامة منقذها الأكبر .

إبراهيم : شكرا لكمو أيها الأصدقاء .
إنما تم ذاك بفضل الله وفضل مساعيكم ،
وبتأييدكم لى فيما مضى من وقائعنا .

في دمشق وحمص وبشلان . بورك فيكم !

بشير : إن أزواحنا بله ما تحت أيدينا من أموال
وضياع بين يديك . تصرف فيها كيف تشاء .

إبراهيم : قد أتتنى تهانئكم بالنصر . فكانت سلاما
على قلبى ، فعلام تجشمتم بعدها
كل هذى الصعاب لتهنئتى ؟

حسين ع . : لم نملك أنفسنا إذ سمعنا بنصرك فى قونيا
أن شددنا إليك الرحال . وجبنا لك الأميال
لنشهد يوما ليس له فى حياة العرب
مثيل . وسيبقى على مر الأجيال .

مصطفى بربر : ولكنى آسف أن تهنئتى يا مولاى ردت إلىّ .

إبراهيم : أكانت مكتوبة بلسان الترك ؟

بربر : نعم مولاى .

إبراهيم : أما للعرب لسان نعز به يا بربر
حتى تكتب لى بلسان الترك ؟

بربر : بلى . بيد أن كان هذا الديدن يا مولاى .
أجل كان هذا الديدن فى العهد البائد .
(**يشير إلى رشيد باشا**) كان هذا الديدن فى عهد هذا
وأصحابه .
ذاك عهد تولى لغير رجوع يا بربر .

بربر : سامحنى يا مولاى فقد غاب عنى أن أرعى هذا . .

إبراهيم : قد يعذركم من يعلم كم طال هذا الهوان
عليكم ، تستبدلون الذى هو أدنى بما هو خير
عجبا يستدر الأسى والعطف
على قومى .
كيف يستبدلون الذى هو أدنى بما هو بخير ؟
أيعيشون فى حلب ودمشق ومصر وينسوا
لسان المعرى والمتنبى وسيف بنى حمدان ؟
والأعجب من هذا أن يعيش أناس بأم القرى
والمدينة حيث همى الوحى والإيمان
بخير لسان وينسوا بها لغة القرآن .
(**يدخل الطبيب**) ما وراءك بشرنا ؟

الطبيب : زال الخوف عنها يا مولاى . أفاقت .

إبراهيم : لك الحمد يا رباه !

الطبيب : وتسأل عن سرحان .

سرحان : أفاقت ؟ وتسأل عنى .. عنى .. رباه اشفها رباه !

الطبيب : وتسأل أيضا عن تامر ..

سرحان : عن قاتلها .

تامر : عنى أنا ؟ مسكينة أنت يا أختاه .
(**يبكى**)

سرحان : عنك يا هذا ؟ عن قاتلها .

إبراهيم : عن أخيها يا سرحان .

سرحان : (**للطبيب**) أفى وسعى أن أراها الآن ؟

الطبيب : نعم فى وسعكما . لكن لا تطيلا المكث لديها ولا تزعجاها .

(**ينطلق سرحان إلى جهة باب الغرفة ويتبعه تامر ويتقدمهما الطبيب**) .

الطبيب : ادخلا بهدوء .

سرحان : (**يلتفت إلى تامر**) فيم جئت هنا ؟

تامر : لأراها يا سرحان معك .

سرحان : (**يدفعه**) ألتقتلها مرة أخرى ؟ لا والله لا تدخل .

تامر : كيف أقتلها؟ أنا فى القيد يا سرحان .

الطبيب : لا تختصما . إن أعصابها لا تحمل هذا الشجار .

تامر : دعنى أر أختى يا سرحان .

سرحان : امش . لا أخت لك .

نعامة : (**يسمع صوتها**) سرحان . ادخل سرحان . ودع تامرا يدخل .

سرحان : هذا صوتها . يا رب لك الحمد يا رب .

الطبيب : (**يفتح الباب**)
ادخلا بهدوء .

(**تظهر نعامة مسجاة على سريرها**)

سرحان : (**يعانقها**) يا بشراى . أنت بخير يا دنياى .

نعامة : يا حبيبى إنى بخير .

سرحان : لك الحمد . خشيت عليك الموت .

نعامة : لو مت لكان قليلا لإبراهيم .

سرحان : ولكن كان يكون كثيرا على سرحان .

نعامة : (**تلتفت إلى تامر**) وعلى تامر أيضا . أقبل يا تامر أقبل إلىّ .

تامر : (**يتقدم إليها**) نعامة أختى .

نعامة : تعال فعانقنى .

(**ينحنى عليها فيقبلها على جبينها**)

تامر : أختى .. أختى .

نعامة : ماذا فى يديك . القيد ؟ كثير هذا على تامر .
أين مولاى إبراهيم . ألا يأتى لأراه ؟

سرحان : (**ينهض**) سأدعوه يا دنياى .

نعامة : لكن تستأهل أكثر من هذا . كيف تقتل
منقذ قومك يا تامر ؟

تامر : سامحينى يا أختى . قد ندمت على ما فعلت .

سرحان : (**لإبراهيم فى البهو**)
مولاى . نعامة تدعوك .

إبراهيم : (**ينهض إلى الغرفة**)
تدعونى . لبيك نعامة . لبيك !
حييت نعامة ، أنت بخير .

نعامة : فى ظل عطفك يا مولاى .. ألا تعفو عن أخى تامر ؟

إبراهيم : قد عزمت ى أن أعفو عنه .

نعامة : أطال الله بقاءك يا مولاى .

إبراهيم : ولكن سرحان لم يرضه منى .

نعامة : فيم يا سرحان ؟ أأنت شديد الوجد على تامر ؟

سرحان : كيف لا وهو يقصد مولاى إبراهيم بسوء .
وقد كاد يودى بك ؟

نعامة : إنه تاب يا سرحان . ألست ترى دمعه
يتحادر من عينيه ؟

سرحان : بل جبان يخاف الحكم عليه بما اجترحته يداه .

نعامة : كلا يا حبيبى . إن ابن فهد ليس بمن
يتهيب وجه الموت .

سرحان : لقد شئته أن يبارزنى بالسيف فإما
أقتله أو يقتلنى .

تامر : مولاى . احلل قيدى ليبارزنى سرحان .

نعامة : تبا لك يا سرحان . علام أعيش إذن
إن أنت قُتلت ؟ وإن تقتله تكن فاجعى
فى ابن أمى وابن أبى .
ما تحب نعامة يا سرحان ؟

سرحان : بلى يا نور العين .

نعامة : علام إذن تعصى أمرى ؟

سرحان : لن أعصى أمرك يا دنياى .

إبراهيم : حل يا سرحان وثاق أخيك فإنكما

أخوان . وسوف تكونان صهرين عما قريب .

سرحان : سمعا مولاى . (**يحل وثاق تامر**)

إبراهيم : وأنت فصافحه يا تامر .

تامر : سمعا يا أعفى الناس وأكرمهم .

(**يمد يده إلى سرحان فيتصافحان**)

شكرا يا معز العرب ومنقذهم . والله لأفتدينك

ويفتدينك بنو النعمان جميعا معى .

ونكونن جندا نقاتل تحت لوائك من

قاتلت ، وأنّى شئت إلى أن نذوق الموت .

إبراهيم : بارك الله فيك .

(**يلتفت إلى نعامة**)

نعامة ما يبكيك ؟

نعامة : سرورى يا مولاى .

إبراهيم : استريحى الآن .. شفاك الله .

نعامة : حماك الله . (**يعود إبراهيم إلى البهو**) .

تامر : سأراك بخير يا أختاه

نعامة : أخى كن أمينا لإبراهيم .

تامر : ثقى يا نعامة بى . (**يخرج إلى البهو**)

(**يبقى سرحان بجانب نعامة يتناجيان**)

إبراهيم : (**للقائد التركى الأسير**)

عفوا يا رشيد شغلنا عنك

(يحل قيده بيده)

إبراهيم : هلم زميلى القديم

(يجلسه إلى جانبه)

أتذكر أيامنا فى ميادين اليونان ؟

رشيد : نعم مولاى .

إبراهيم : أيذكرها سلطانك أيضا ؟

رشيد : ومن ينساها وينسى بلاءك فيها وإقدامك ؟

إبراهيم : بل نسيتم جميل أبى . ونفستم عليه الفخار
الذى حلاكم به .
أنا سيف أبى ؟ سلنى مرتين لإنقاذكم
وإغاثتكم فى نجد وفى اليونان . على
أن يجزيه السلطان ولاية سوريا
فانظروا ما كان جزاء أبى إذ طالبه
بالوعد .. أن يصدر فتواه بتكفيره
وبتفكيرى . وبإعدامه وبإعدامى ؟
ويله . هل يحسبنا خلقه يتصرف فينا
هذا الرب الصغير .

رشيد : بعض وجدك يا مولاى عليه . فما قصده .
إلا أن يجمع من شمل المسلمين .

إبراهيم : هذا والله جميل . لكى يجمع المسلمين
استنجد بالقوم الكافرين على القوم المسلمين ؟

فلينعم خليفتك بالا ، أن أعداء الإسلام
سيحمونه من سطوة أنصار الإسلام .

رشيد : إنه يبغى الصلح يا مولاى لحقن الدماء .

إبراهيم : أبعدَ ألوف الجنود التى أفنيناها منكم
هلا كان ذلك منه وفيكم دماء تحقن بعد ؟

رشيد : لم تبد بعد قوات السلطان ، وفى وسعه ،
لو شاء ، وصال الحرب .

إبراهيم : فهلا استنجد من يحميه من الكفار إذن ؟

رشيد : إن يكن هذا فلكى تقبلوا الصلح يا مولاى .

إبراهيم : أتخيفوننا من ذلك الغرب ؟ ألا فاعلموا
أننا لا نخاف أساطيلهم فى البحر ، ولا
جندهم فى البر ، وقد علمناهم فى اليونان
كيف يقاتل أبناء وادى النيل ،
بأنى قد وقفت الزحف نزولا على أمر سيدى الوالد
فارجع حرا لبلادك كى تخبر السلطان
بأن الصلح سيعقد ما بيننا ، وسنرعاه ما رعاه . .
فإن ينقض عهده فجنودى بالمرصاد
ولن يقف الزحف حينئذ دون اسطنبول .

إسماعيل : أجل ، لن يمنعها منا حلفاؤكم الكافرون .
اعلموا أننا لم نكن فى يوم من الأيام
بأقوى منا اليوم . وقد هبت أوطان العروبة

قاطبة تحت العلم المصرى ، تسير
إلى حيث يدعوها ماضيها المجيد .

إبراهيم : ها أنت رأيت بعينيك الروح العربية
كيف سرت فى البلاد . أتبغون أن تطفئوا
جذوة أوقدتها يمين الله .
يا بنى قحطان ، أترضون أن ترجعوا للذل ؟

حسين ع . : معاذ الله .

مصطفى بربر : معاذ الله .

تامر : معاذ الله . لأطيب من ذاك يا مولاى الموت .

بشير : إنا قد خلعنا ذاك النير بكفك يا ابن محمد ،
أفنحمله فوق أعناقنا مرة أخرى ؟
دون هذا وتنهد أسوار اسطنبول .

إبراهيم : اطردوا من رؤوسكمو فكرة استعباد بلاد العرب
لقد أعتقها الرحمن فلن يستعبدها
أجنبى بعد اليوم .

الكولونيل سيف : هذا حلم نابليون تحقق يا مولاى .

إبراهيم : لا بل حلم إبراهيم وحلم العرب .

رشيد : قد لا يتحقق هذا الحلم غدا ، فغد
بيد الله يا مولاى .

إبراهيم : لا أجهل أن غدا بيد الله يا هذا ،

بيد أن الله قد بعث الروح العربية
من رمسها ، فهى باقية لن تموت .
وإذا لم يتم على عهـدى ما أردت لها
من وحدتها العظمى . فلسوف يحققها
بعدى .. واحد من أحفادى ..

(ستار الختام)

مؤلفات الأستاذ على أحمد باكثير

(١) أخناتون ونفرتيتى
(٢) سلامة القس
(٣) وا إسلاماه
(٤) قصر الهودج
(٥) الفرعون الموعود
(٦) شيلوك الجديد
(٧) عودة الفردوس
(٨) روميو وجولييت
(٩) سر الحاكم بأمر الله
(١٠) ليلة النهر
(١١) السلسله والغفران
(١٢) الثائر الأحمر
(١٣) الدكتور حازم
(١٤) أبو دلامة
(١٥) مسمار جحا
(١٦) مسرح السياسة
(١٧) ماسأة أوديب
(١٨) سر شهر زاد
(١٩) سيرة شجاع
(٢٠) شعب الله المختار
(٢١) إمبراطورية فى المزاد
(٢٢) الدنيا فوضى
(٢٣) أوزوريس
(٢٤) دار ابن لقمان
(٢٥) قطط وفيران
(٢٦) إله إسرائيل
(٢٧) هاروت وماروت
(٢٨) الزعيم الأوحد
(٢٩) جلفدان هانم
(٣٠) التوراة الضائعة

الملحمة الإسلامية الكبرى « عمر » :

(١) على أسوار دمشق
(٢) معركة الجسر
(٣) كسرى وقيصر
(٤) أبطال اليرموك
(٥) تراب من أرض فارس
(٦) رستم
(٧) أبطال القادسية
(٨) مقاليد بيت المقدس
(٩) صلاة فى الإيوان
(١٠) مكيدة من هرقل
(١١) عمر وخالد
(١٢) سر المقوقس
(١٣) عام الرمادة
(١٤) حديث الهرمزان
(١٥) شطا وأرمانوسة
(١٦) الولاة والرعية
(١٧) فتح الفتوح
(١٨) القوى الأمين
(١٩) غروب الشمس

رقم الإيداع ٨٨٣٠ / ١٩٩٠
I. S. B. N. 977 – 11 – 0627 – 9